المواهب الربانية
من الآيات القرآنية

كتبها

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

(١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)

وقد جمع فيها من الفوائد ما لا يوجد في غيرها

اعتنى بهذه الطبعة

أبو عبد الرحمن سمير الماضي

رمادي للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المواهب الربانية

من الآيات القرآنية

كتبها

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

(١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)

وقد جمع فيها من الفوائد ما لا يوجد في غيرها

اعتنى بهذه الطبعة

أبو عبد الرحمن سمير الماضي

رمادي للنشر

الطبعة الثانية

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رمادي للنشر

ص.ب - ٧٤٨٦
الدمام - ٣١٤٦٢
المملكة العربية السعودية
هاتف / ٨٣٣٧٧٧٠
فاكس / ٨٣٤٩٨٤٦
ترخيص رقم - ٤٥٠٥ / د

مقدمة التحقيق

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد ألا إله إلا الله وحدة لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله [ﷺ] .

﴿يا أيُّها الذِينَ آمَنُواْ اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَا أيُّها النَّاسُ اتقُوا ربَّكُمْ الَّذِي خَلقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجَالاً كَثِيراً ونِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَليكُمْ رَقِيباً﴾ .

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُوا اللهَ وقُولُوا قَوْلاً سديداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبكُم وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولُه فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدى هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد : فمنذ بضع سنين دفع إلّي الأخ الفاضل الشيخ خالد

السعدي ـ حفظه الله ـ المعيد بجامعة الملك فيصل بالإحساء ، نسخة من كتاب «المواهب الرّبانية من الآيات القرآنية» للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله راغباً الاطلاع عليها والنظر في إعادة طباعته . ولّما تصفحت الكتاب وجدته قد حوى فوائد رائعة واستنباطات نافعة من آيات الكتاب العزيز أفاض الله بها على المؤلف قلما تجدها ـ إن وجدت ـ في كتاب ، وقلت لعل المؤلف رحمه الله ذكرها في تفسيره فعدت إلى التفسير وقرأت تعليقه على ذات الآيات التي علقّ عليها في المواهب الربانية ، فوجدته مغايراً ، واتّضح لي أنّ ما سطّره المؤلف رحمه الله في المواهب الربانية ، ليس مكرراً فازدادت قيمة الكتاب وازداد عزمي على إعادة طبعه إلا أنّ رداءة النسخة التي دفعها إلي الأخ خالد جعلني أتريث ، فقد كانت تفتقر إلى علامات الترقيم ، والفوائد متداخلة ببعضها دون أي فاصل ، والأسطر مضغوطة ، إضافة إلى خلوّها من العناوين والفهارس التي تيسر على القارىء، هذا إضافة إلى الأخطاء المطبعية الفاحشة ، وإدراج بعض العبارات التي ليست من كلام المؤلف رحمه الله دون تمييزها .

لذا رأيت أن يخدم الكتاب قبل دفعه للطباعة بالشكل الذي يليق بمادته وبشأن مؤلفه رحمه الله ، فكان عملنا التالي :

١ ـ قمنا بإعادة ترتيب مادة الكتاب على ترتيب سور المصحف ، ومن ثمَّ على ترتيب الآيات في السور ، وهذا اجتهاد اجتهدناه ظناً منّا أنه أكثر منفعة للقارىء ، حيث أنه يسهل عليه الوصول إلى الفائدة المتعلقة بالآية بيسر ، خاصة وأن النسخة التي بين أيدينا ـ

وهي نسخة طبعت على نفقة بعض المحسنين تحت إشراف سعيد بن عبدالله الدعجاني ولم يدون عليها تاريخ الطبع لكن يغلب على ظني أنها طبعت منذ قرابة ٣٠ عاماً ـ قد حصل فيها بعض التصرف من ناحية التقديم والتأخير .

٢ ـ قمنا بضبط النص ، وعزو الآيات إلى مظانها ، وكذلك خرَّجنا الأحاديث على وجه الإيجاز .

٣ ـ جعلنا عناوين لبعض مباحث الكتاب ، ووضعناها بين معكوفتين [ ] تمييزاً لها عن كلام المؤلف رحمه الله .

٤ ـ صنفنا فهارس للكتاب ليسهل على القارىء الاستفادة من محتوياته .

٥ ـ قمنا بعمل ترجمة موجزة للمؤلف رحمه الله .

بقي أن تعلم أنّ هذا الكتاب أو هذه المواهب الربانية التي أفاضها الله على كاتبها ، قام المؤلف بتقييدها أثناء تلاوته لكتاب الله في شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧ هـ كما أشار إلى هذا في خاتمة الكتاب .

وختاماً هذا جهدنا المتواضع نضعه بين يدي القرّاء ، فإن وجدوا خيراً فالحمد لله وبفضل الله ، وإن كان خلاف ذلك فنستغفر الله من الإثم والخلل ونزوات الشيطان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو عبدالرحمن سمير الماضي

ترجمة موجزة للمؤلف(*)

نسبـــه :

هو الشيخ أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم .

مولــده :

ولد في بلدة عنيزة في القصيم ، وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية ، وتوفيت أمه وله أربع سنين ، وتوفي والده وله سبع سنين ، فتربى يتيماً وكفلته زوجة والده رحمها الله وأحبته أكثر من أولادها ورعته حتى شبَّ ، ثم انتقل إلى بيت أخيه الأكبر فقام على رعايته ، ونشأ نشأة حسنة ، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم ، فقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب ، وأتقنه وعمره أحد عشر سنة .

(*) راجع للاستزادة : «حياة الشيخ عبدالرحمن السعدي في سطور» لأحمد القرعاوي ، «صفحات من حياة علامة القصيم» و «أثر علامة القصيم على الحركة العلمية المعاصرة» للطيار ، و «الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة» لعبد المحسن العباد .

طلبه للعلم :

ثـم اشـتـغـل في الـتـعلم على علماء بلده وعلى من قـدم بلده من العلماء ، فـاجـتـهـد وجـد حـتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ، ولما بلغ من العـمـر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتـدريس فكان يتـعلم ويُعَلِّـم ، ويقضي جميع أوقـاته في ذلك ، حتى أنه في عام ألف وثـلاثمائة وخمـسين صـار التـدريس ببلده راجـعـاً إليـه ؛ ومـعـول جميع الطلبة في التعلم عليه .

بعض مشايخ المؤلف :

أخذ العلم رحمه الله عن :

١ ـ الشـيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر ، وهو أول من قرأ عليه ، وكان المؤلف يصف شـيـخـه بحـفظـه للحـديث ، ويتـحدث عن ورعه ومحبتـه للفـقـراء ومـواساتهم ، وكثيراً ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فـيـخلع أحـد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه ، وقلة ذات يده رحمه الله ، توفي في الكويت عام ١٣٣٨ هـ .

٢ ـ الشـيخ محـمد بن عـبدالكريم الـشبل ، قـرأ علـيه في الفقه وعلوم العـربيـة وغيرهما وتوفي رحمه الله في عنيزة عام ١٣٤٣ هـ .

٣ ـ الشـيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة) قرأ عليه في التوحيد والتـفـسير والفـقه أصوله وفروعه وعلوم العربية ، وهو أكثر من قرأ علـيـه المـؤلـف ولازمـه مـلازمـة تـامـة حـتـى توفي رحمـه الله عـام

١٣٥١ هـ .

٤ ـ الشيخ عبد الله بن عايض الحربي .

٥ ـ الشيخ صعب بن عبدالله التويجري .

٦ ـ الشيخ علي السناني .

٧ ـ الشيخ علي الناصر أبو واداي ، قرأ عليه في الحديث ، وأخذ عنه الأمهات الست وغيرها وأجازه في ذلك .

٨ ـ الشيخ محمد بن الشيخ عبدالعزيز المحمد المانع (مستشار المعارف في المملكة العربية السعودية) ، وقد قرأ عليه المؤلف في عنيزة وتوفي رحمه الله سنة ١٣٨٥ هـ .

٩ ـ الشيخ محمد (الأمين محمود) الشنقطي (نزيل الحجاز قديماً ثم الزبير) لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس قرأ عليه المؤلف في التفسير والحديث ومصطلح الحديث وعلوم العربية ، كالنحو والصرف ونحوهما .

أخلاقـــــه :

كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، متواضعاً للصغير والكبير والغني والفقير ، وكان يقضي بعض وقته في الاجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم نادياً علمياً ، حيث أنه يحرص أن يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها ، فتنقلب

مجالسهم العادية عبادة ومجالس علمية، ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه، ويبحث معه في المواضيع النافعة له دنيا وأخرى ، وكثيراً ما يحل المشاكل برضاء الطرفين في الصلح العادل ، وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء ماداًّ يد المساعدة لهم بحسب قدرته ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير في المناسبات ، وكان على جانب كبير من الأدب والعفة والنزاهة والحزم في كل أعماله ؛ وكان من أحسن الناس تعليماً وأبلغهم تفهيماً ، مرتباً لأوقات التعليم ، ويعمل المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم ، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون ؛ وكل من حفظه أُعطي الجعل ولا يحرم منه أحد. ويتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ، ويرجح ما عليه رغبة أكثرهم ومع التساوي يكون هو الحكم ، ولا يمل التلاميذ من طول وقت الدراسة إذا طال ، لأنهم يتلذذون من مجالسته ، ولذا حصل له من التلاميذ المحصلين عدد كثير.

صفاته الَخلْقِيّة :

كان قصير القامة ، ممتلىء الجسم ، أبيض اللون مشرباً بحمرة ، مدور الوجه طلقه ، كثيف اللحية بيضاء ، يتلألأ وجهه كأنّه فضة ، عليه نور في غاية الحسن وصفاوة اللون ، نيِّر لا يُرى إلا مبتسماً أو بادية أسارير وجهه .

مكانته العلمية :

كان ذا معرفة تامة في الفقه ، أصوله وفروعه .

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة ، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي ؛ بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي . وله اليد الطولى في التفسير ، إذ قرأ عدة تفاسير وبرع فيه ، وألف تفسيراً جليلا في عدة مجلدات ، فسره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير ولا غيره ، ودائماً يقرأ والتلاميذ في القرآن الكريم ويفسره ارتجالا ، ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده ؛ ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة ، حتى أن سامعه يود أن لا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه وتوسعه في سياق الأدلة والقصص ، ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه عرف مكانته في العلم ، وكذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه .

تلاميذه :

فأما تلاميذه فكثيرون نذكر منهم :

١ ـ الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، وهو الذي خلفه في التدريس والإفتاء في عنيزة ، وهو إمام الجامع الكبير في عنيزة والمدرس في جامعة الإمام بالقصيم ، صاحب التصانيف المفيدة والشروح النافعة حفظه الله .

٢ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ، عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل السعودية .

٣ ـ الشيخ علي بن حمد الصالحي ، وكان الشيخ قد وكّل إليه تدريس صغار الطلبة هو والشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع في حدود عام ١٣٦٠ هـ .

٤ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن صالح البسام ، عضو هيئة التمييز بمكة المكرمة .

٥ ـ الشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان ، صاحب الكتب النافعة .

وغيرهم كثير .

مؤلفاته :

ألف الشيخ رحمه الله العديد من الكتب والرسائل والفتاوى ، بعضها طبع والبعض الآخر لم يطبع بعد ومن هذه المؤلفات :

١ ـ تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»

في خمس مجلدات ، وقد أكمل تأليفه عام (١٣٤٤ هـ) مطبوع .

٢ ـ «حاشية على الفقه» استدراكاً على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي . ولم تطبع .

٣ ـ «إرشاد أولى البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب» ، رتبه على السؤال والجواب ، طبع مراراً ، وقد أعيد طبعه أيضاً تحت عنوان «الإرشاد إلى معرفة الأحكام» .

٤ ـ «الدرة المختصرة في محاسن الإسلام» طبع .

٥ ـ «الخطب العصرية القيمة» ، لّما آل إليه أمر الخطابة في بلده اجتهد أن يخطب في كل عيد وجمعة بما يناسب الوقت الحاضر في المواضيع المهمة التي يحتاج الناس إليها ، ثم جمعها وطبعها مع «الدرة المختصرة» في مطبعة أنصار السنة على نفقته ووزعها مجاناً .

٦ ـ «القواعد الحسان لتفسير القرآن» مطبوع .

٧ ـ «تنزيه الدين وحملته ورجاله ، مما افتراه القصيمي في أغلاله» ، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز «الشيخ محمد أفندي نصيف» عام ١٣٦٦ هـ .

٨ ـ «الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين» مطبوع.

٩ ـ «توضيح الكافية الشافية». وهو كالشرح لنونية الشيخ ابن القيم مطبوع.

١٠ ـ وجـوب التـعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني مطبوع .

١١ ـ «القـول السـديد في مقـاصد التـوحيد» ، طبع .

١٢ ـ «مختصر في أصول الفقه» ، لم يطبع .

١٣ ـ «تيسـير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» . طبع .

١٤ ـ «الرياض الناضرة» ، طبع.

وغيرها كـثير ، وقـد جـاوزت الثـلاثين كـتـاباً ، منهـا كتابنا هذا الذي بين يديك .

وله فـوائد منثـورة وفـتـاوى كثيرة في أسئلة شتى ترد إليه من بلده وغيرها ويجيب عليـهـا ، وله تعليـقـات شتى على كثير مما يمر عليه من الكتب . وكـانت الكتـابة سـهلة يسيرة عليه جداً ، حتى أنه كتب من الفـتـاوى وغيرها شـيئاً كثيراً . ومما كتب نظم ابن عبدالقوي المشهور ؛ وأراد أن يشرحـه شرحـاً مـسـتـقـلا فـرآه شـاقاً عليه ، فجمع بينه وبين الإنصاف بخط يده ليساعد على فهمه فكان كالشرح له ؛ ولهذا لم نعده من مصنفاته .

غايته من التصنيف :

وكـان غـايـة قـصـده مـن التـصنيف هو نشر العلم والدعـوة إلى الحق، ولهذا يؤلف ويكتب ويطبع مـا يقدر عليه من مؤلفاته ، لا ينال

منهـا عـرضـاً زائلاً ، أو يسـتـفيد منها عرض الدنيا ، بل يوزعها مجاناً ليـعم النفع بها . فـجـزاه الله عن الإسـلام والمسلمين خيراً ، وقد أعيد طبـاعـة كـثير من كـتبه عدة مرات ولاقت قبولاً واستحساناً من طلاب العلم في كل مكان .

وفاتــه :

وبعـد عـمر دام قـرابة ٦٩ عـاماً في خدمة العلم انتقل إلى جوار ربه فجـر يوم الخميس المـوافق ٢٢ جمـادي الآخرة عام ١٣٧٦ هـ بعد مـرض لازمـه قـرابـة خمـس سنوات ـ وهو مـرض ضـغط الدم وضـيق الشرايين ـ كـان خـلالها صـابراً محتـسباً ، ودفن في مدينة عنيزة من بلاد القـصـيم رحمه الله رحمة واسـعـة . وصلّـي عليـه بعـد صـلاة الظهـر في الجـامـع الـكـبـير ، وكـان الناس في حـشـد عظيم امـتـلأ الجـامع بهم والـشـوارع المحـيطة به . ولما علم الشـيـخ سليمان المشـعلي بوفـاته وكـان عـالماً جليـلاً وقـاضـيـاً مسرداً قـال : (مـات اليوم عالم نجد وقد طاب الموت بعده) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه .

هذه فوائد فتح الله عليَّ بها في هذا الشهر المبارك(1) .

نسأله المزيد من كرمه آمين .

---

(1) شهر رمضان من عام ١٣٤٧ هـ ، حيث بدأ المؤلف رحمه الله في تسطير هذه الفوائد في أوله وختمها في اليوم الثامن والعشرين منه كما ذكر في خاتمة الكتاب .

(سورة البقرة)
● الآية : ٦٧

■ لعل من فـوائد تأخير ذكـر ذلك القـتـيل عن ذكر الأمر بذبح البـقـرة في قـصـة مـوسى مع بني اسرائيل لأنّ السيـاق سياق ذمٍ لبني إسرائيل وتعـدادِ مـا جرى لهم مما يقرر ذلك ، فلو قدَّم ذكر القتيل على الأمـر بذبح البـقرة لصارت قصة واحدة وقضية داخل بعضها في ضمن بعض ، فـفـصل هذا من هذا ليتبين ذمهم وسوء فعالهم في القضيتين . ولهذا أتى في ابتداء كل منهما بإذ الدالة على تذكّر تلك الحال وتصويرها فـقـال : ﴿وإِذْ قَال مُوسـى لِقَومـهِ إِنَّ اللهَ يـأْمـُرُكـمْ أَنْ تَذْبَـحُوا بَقَرةً﴾ الآيات [سورة البقرة: آية ٦٧]، ثم قـال : ﴿وإِذ قَتَلْـتُمْ نَفْسَاً فادَّارأْتُـمْ فِيـهَا﴾ الآيـات [البـقرة : آية ٧٢] ، وليرتب عليـه أيضـاً ما ذكر بعده مـن قـوله ﴿فَاضْـرِبُوهُ بِبَعْضِهَـا﴾ [سـورة الـبـقرة : آيـة ٧٣] إلى آخـر الآيات والله أعلم .

ويقـارب هذا مـا ذكـر الله في قـصة مريم حين أثنى عليها بالنعم الـظـاهـرة والـبـاطـنة هي ووالدتها ، فـذكـر حـالها وكمالها أولاً وأنّ الله جـعلهـا في كـفـالة زكـريا لتربى تربيـة حـسنة وتتأدب وتتعلم ، وذكر اجـتـهـادها في مـلازمـة محرابها واسـتـجابة دعاء أمها وأنه تقبلها بقبول حسن وأنبـتـهـا نبـاتاً حـسناً قـبل ذكـر اخـتـصـام بني إسرائيل فـيـها واقتراعـهم عليـهـا لينبـه تعـالى أنّ هذا مـقـصـود وهذا مـقصود وأن لها مـدحاً وكمالاً في حال اختصامهم عليها ، ومدحاً وكمالاً في حال نشأتها وعـبادتها وتيسير الله لها أمورها .

ومن فـوائد ذلك أنَّ تقـديم الغـايات والمقاصد والنهايات أهم من

تقديم الوسائل ، فالاختصاص من باب الوسائل وما ذكر قبله من باب المقاصد ، والله أعلم وأحكم .

• الآية: ١٨٥ ■ قوله تعالى : ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [البقرة : ١٨٥] أعم من قوله في سفر ليدخل فيه من أقام في بلد أو بَرِّيَّة ولم يقطع سفره بل هو على سفر وإن لم يكن في سفر.

• الآية: ١٨٥ ■ قوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة : ١٨٥] يدل على أن المعتبر مجرد العدة لا مقدارها في الطول والقصر والحر والبرد ولا وجوب الفور وعدمه ولا ترتيب ولا تفريق ويقرر هذا قوله : ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

• الآية: ٢٢١ ■ قال الله تعالى : ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا المُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُوا المُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

فصل يؤخذ من نهي الله عن نكاح المشركة وإنكاح المؤمنة للمشرك وتعليل الله لذلك أنه ينبغي اختيار الخلطاء والأصحاب الصالحين الذين يدعون إلى الجنة بأقوالهم وأفعالهم ، وتجنب ضدهم من الأشرار الذين يدعون إلى النار بحالهم ومقالهم ولو كانوا ذوي جاه وأموال وأبهة ، ولو كان الأولون فقراء ولا جاه لهم ولا قدر عند كثير من الناس ، لأن اختيار السعادة الأبدية أولى بالعاقل من حصول حظ

عــاجل يعـقب أعظم الحسرة وأشد الفوت ، فتخير الخلطاء والأصحاب من شيم أولي الألباب .

• الآية: ٢٢٦ ■ احـتـجـاج الفـقـهاء على أنه لا يجب على الزوج أن يطأ زوجته إلا في كـل ثـلـث سنة مـرة بقـوله تعـالى : ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [سـورة الـبقرة : آية ٢٢٦] فيه نظر . وإنما فـيـهـا الدلالة على أنّ للمؤلي خاصة هذه المدة لأجل ايلائه ، وأما غير المؤلي فـمـفـهومها يدل على خلاف ذلك وأنه ليس له أربعة أشهر وإنما عليه ذلك بالمعـروف لأنه من أعظم المعـاشرة الداخلة في قـوله تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سـورة النسـاء : آية ١٩] فـمن آلى زوجها منهـا فله أربعـة أشـهـر لا تملك المطالبـة إلا أن يتبين أن قصده الضرار فيمنع من ذلك .

• الآية: ٢٢٨ ■ قــولـه تعـالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البـقرة : ٢٢٨] وكـذلـك قـولـه : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

التربص المذكـور هو الانتظار والمكث في العدة فما الفائدة في قوله

﴿بأنفسهن﴾ مع أنه يغني قوله ﴿يتربصن ثلاثة قروء﴾ و ﴿يتربصن أربعة أشهر وعشرا﴾ ؟

فأعلم أن في قوله ﴿أنفسهن﴾ فائدة جليلة وهي: أنّ هذه المدة المحدودة للتربص مقصودة لمراعاة حق الزوج والولد ومع القصد لبرأة الرحم فلابد أن تكون في هذه المدة منقطعة النظر عن الرجال محتبسة على زوجها الأول لا تُخطَب ولا تتجمل للخُطّاب ولا تعمل الأسباب في الاتصال بغير زوجها، ويدل على هذا المعنى قوله : ﴿فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٣٤] أي من التجمل والتبهي ولكن بالمعروف على غير وجه التبرج المحظور ، ويدل على هذا قوله في الآية الأخرى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج﴾ [البقرة : ٢٤٠] فلم يأمر هذه المرة أن يتربصن بأنفسهن بل جعلها وصية تتمتع بها المرأة سنة بعد موت زوجها جبرا لخاطرها ولهذا رفع الحرج عنها بالخروج ، وأنها بعد الخروج لها التجمل المعروف وقبل ذلك. كما جبر الورثة قبلها لأجل زوجها فعليها العدل وترك التجملِ وهذا يبين أن الآية الأولى ليست بناسخة لهذه الآية بل تلك عدة لازمة وهذه وصية تمتيع غير متحتمة والله أعلم .

(سورة آل عمران)
● الآية: ٤١

■ في أمر الله تعالى لزكريا بالذكر بالعشّي والإبكار بعد البشارة له بيحيى عليهما السلام ، وفي أمر زكريا لقومه بتسبيح الله بكرة وعشيا تنبيه على شكر الله تعالى على النعم المتجددة لاسيما النعم التي

يترتب عليهـا خير كـثير ومـصـالح مـتـعـددة ، وأنّـه ينبغي للعبد كلما أحـدث الله له نعـمـة أحـدث لذلك شكرا ، وأنَّ أفـضل أنواع الشكر الإكـثار من ذكر الله وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه .

● الآية: ١٦٩ ـ ١٧١ ■ لما قُتل من قتل من الصحابة شهداء في سبيل الله أنزَلَ الله على المـسلمين : بلغـوا إخـواننا أنّـا قـد لقـينا ربنا فـرضي عنا ورضـينا عنه فـتلوها مـدة فأنزل الله بدلها ﴿وَلاَ تَـحْسَبَـنَّ الَّذِينَ قُتِلُـوا فِـي سَبِيلِ اللهِ أَمْـوَاتَاً بَلْ أَحْـيَاءٌ عِنْدَ رَبِّـهِم يُرْزَقُونَ فَـرِحِيـنَ بِـمَـا آتَاهُـمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْـتَبْشِـرُونَ بِالَّذِيـنَ لَـمْ يَلْحَقُوا بِـهِـمْ مِنْ خَلْفِهِـم ألاَّ خَوْفٌ عَلَيْـهِمْ وَلاَ هُـمْ يَـحْزَنُونَ يَسْتَبْـشِـرُونَ بِنِعْـمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضْلٍ وأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيـعُ أَجْـرَ الْمُـؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ـ ١٧١] وفي هذا حكمة ظـاهرة فإنه مناسب غـاية المناسبة أن يخبر الله عنهم إخوانهم وأصحابهم وأحـبـابهم بخـصـوصـهم ليـفـرحـوا وتطمئن قلوبهم وتسكن نفـوسـهم ويُقْدِمـوا على الجـهـاد ، فلما حصل هذا المقصود وكان هذا الحكم ثابتاً فـيـمن قُتِلَ في سـبـيل الله إلى يوم القـيـامـة، وكـان من بلاغـة القـرآن وعظمـتـه أنه يخبر بالأمـور الكلية ويذكر الأصول الجامعة أنزل الله هذه الآيات العـامـات المحكمات حكمـة بالغـة ونعـمـة من الله على عـبـاده سابغة .

ونظير هذا أنه كـان مما يتلى (الشـيخ والشـيـخـة اذا زنيا فارجموهما البـتـة) الخ فنسخ لفظهـا وجـعل الشارع الرجم بوصف الإحصان لأنه هو الصـفـة الموجـبة لا وصف الشيخوخة ولكن في ذكر الشيخ والشيخة

من بيان شناعة هذه الفاحشة ممن وصل إلى هذه الحال وقبحها ورذالتها ما يوطن قلوب المؤمنين في ذلك الوقت الذي كانت القلوب يصعب عليها هذا الحكم على الزنى الذي كانوا آلفين له في الجاهلية فلم يفجأهم بحكم الرجم دفعة واحدة بل حكم به على الشيخ والشيخة اللذين ماتت شهوتهما ولم يبق لهما إرادة حاملة عليه إلا خبث الطبع وسوء النية ، فلما توطنت نفوسهم على قبحه شرع لهم الحكم العام والله أعلم .

● الآية: ١٧٢ ـ ١٧٤

■ نية العبد تقوم مقام عمله وإذا أحسن العبد في عبادة ربه ، ووطن نفسه على الأعمال الفاضلة الشاقة ، سهَّل الله له الأمور ، وهوّن عليه صعابها ، وربما انقلبت المخاوف أمنا ، وتبدلت المحنة منحة ، وربما حصل من آثار ذلك خير الدنيا والآخرة ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ إلى قوله ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٢ ـ ١٧٤] فلا يُستنكر هذا الخير على ذي الفضل العظيم . وفي هذه الآية دليل أيضا على أنّ الله يُحدِثُ لعبده أسباب المخاوف والشدائد ، ليحدث العبد التوكل على ربه والإخلاص والتضرع ، فيزداد إيمانه وينمو يقينه ، كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٧٣] .

(سورة النساء) ● الآية: ١١ ـ ١٤

■ قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١] والآية الأخرى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢] والأخرى ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء : ١٢] فاتفقت على إطلاق الدين وتقييد الوصية بحصول الإيصاء بها . وهذا يدل على أنَّ الدَّين مُقَدَّم على حقوق الورثة وغيرهم مطلقا سواء وصّى المدين بقضائه أو لم يوص ، وسواءً كان دينا لله أو للآدميين ، وسواءً كان به وثيقة أم لا .

وأما الوصية فشرط الله في ثبوتها أن يوجد الايصاء بها ، فإن لمن يوصِ الميت لم يجب على الورثة شيء من التركة لغير الدين . ولابد من تحقق الإيصاء فلو وجد منه قول في حالة عدم شعور وعلم بما أوصى به لم يتحقق أنه أوصى .

ودلت الآيات على ثبوت الوصية التي يوصي فيها الميت ، وقيدتها السُّنَّة بإنها الثلث فأقل لغير وارث .

بل آيات المواريث وتقدير انصباء الورثة مع قوله في آخرها ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ [النساء : ١٣] إلى قوله ﴿ومَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء : ١٤] تدل على أن الوصية لوارث من باب تعدي الحدود .

● الآية: ٣٢

■ **فوائد** : لا يمنع الله تعالى عبده شيئاً إلا فتح باباً أنفع له منه وأسهل وأولى قال تعالى : ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُم عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ولِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا

اكْتَسَبْنَ واسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْماً﴾ [النساء : ٣٢] فمنع الله من تمنى ما فضَّل الله به بعض العبيد على بعض ، وأخبر أنّ كل عامل من الرجال والنساء له نصيبٌ وحظ من كسبه . فحضَّ الصنفين على الاجتهاد في الكسب النافع ونهاهم عن التمني الذي ليس بنافع ، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان ودعاهم إلى سؤال ذلك بلسان الحال ولسان المقال وأخبرهم بكمال علمه وحكمته ، وأن من ذلك : أنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته ولا تنال المطالب العالية إلا بالسعي والاجتهاد والله الموفق لكل خير .

● الآية: ٤٩ ـ ٥٠ ■ قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكّي مَنْ يَشَاءُ ولاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [سورة النساء : آية ٤٩] أي : إذا كانوا إنما حملهم على تزكية نفوسهم ومدحها خوفَ أن لا يُعرف مقدارهم ومنزلتهم ، فليعلموا أنّ الله هو المُزكي لمن يشاء من خلقه ، وهو الذي تَزَكَّى بترك القبائح وفعل الخيرات ، والله تعالى شكور حكيم ، فإن كانوا أزكياء حقيقة فلابد أن يظهر الله ذلك وإن لم يظهروه فإنه لا يظلم فتيلا ، ولكن قد علم أنّ الحامل لهم على هذه التزكية الدعوى الباطلة والافتراء والكذب ، فلهذا قال ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً﴾ [سورة النساء: آية ٥٠].

● الآية: ١٠٣ ■ ذِكْرُ الله تعالى مُرَقِّعٌ للخلل ، مَتَمِمٌ لما فيه نقص ، ودليله قوله تعالى ـ بعد ما ذكر صلاة الخوف وما فيها من عدم الطمأنينة

ونحوها ـ قال : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [سورة النساء : الآية ١٠٣] أي : لينجبر نقصكم وتتم فضائلكم . ويشبه هذا أنّ الكمال هو الاستثناء في قول العبد إنِّي فاعل ذلك غدا فيقول : إن شاء الله فإذا نَسِيَ فقد قال تعالى : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [سورة الكهف : آية ٢٤] وهذا أعم من كونه يستثني بل يذكر الله تعالى تكميلا لما فاته من الكمال والله أعلم .

فعلى هذا المعنى ينبغي لمن فعل عبادة على وجه فيه قصور أو أخلَّ بما أُمِرَ به على وجه النسيان أن يتدارك ذلك بذكر الله تعالى ليزول قصوره ويرتفع خلله .

■ الإيمان والاحتساب يخفف المصائب ويحمل على الصبر :

● الآية: ١٠٤ دليله قوله تعالى : ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ [النساء : ١٠٤] أي فليكن صبركم أعظم ومصيبتكم أخف ، كما أنّ عدم الإيمان يُصَعِّب المصيبة ويَحمِل على الجزع ، دليله قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لأَخوانِهِم إِذَا ضَرَبُوا في الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزَّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا ومَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٥٦] ومما يدل على الأمرين قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوا

عَلَىٰ مَا فَاتَكُم ولاَ تَفرحُوا بِمَا آتاكم﴾ [الحديد : ٢٣] الآيات وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١] وغير ذلك من الآيات .

● الآية: ١٠٨ ■ قوله تعالى : ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَالاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة النساء : آية ١٠٨] ذم لهم من وجهين : من جهة فعل الذنب ، والإصرار على الذنب ، وثم وجه ثالث من الذم وهو أنّ الله ذمهم على المكر ؛ لأن التبييت هو : التدبير ليلاً على وجه الخديعة للحق وأهله ، من كلامهم وقولهم ، بما يبغضه الله ولا يرضاه من الأقوال المحرمة ، ومن الإصرار على ذلك . فقولهم إثم وظلم ، وبياتهم على ذلك وإصرارهم عليه إثم آخر ، وهذا أبلغ من لو قال : وهو معهم إذ يقولون مالا يرضى من القول .

فعلى العبد التوبة إلى الله من فعل الذنوب والإصرار عليها ؛ فكما أنّ فعلها معصية فالاستمرار عليها ونية فعلها متى سنحت له الفرصة معصية أخرى .

وعلى العبد أن يُبَيِّت ما يُرضي الله تعالى من الأقوال والأفعال، فيفعل ما يقدر عليه من الخير ، وينوي فعل الخير الذي لم يحضر وقته، والذي لا يقدر عليه ، وبذلك يستحق العبد أن يكون ممن اتبع رضوان الله فيدخل في هذه المعاملة المذكورة في قوله ﴿أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٦٢] وتحصل له الهداية في أموره كلها ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَـهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمْ﴾ . [المائدة : آية ١٦] .

● الآية: ١٣٠ ■ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاً مِنْ سَعتهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعَاً حَكِيماً﴾ [سورة النساء : آية ١٣٠] في هذه الآية فائدة عظيمة وهي : أنّ العبد عليه أن يعتمد على الله ويرجو فضله وإحسانه ، ويعمل ما أُبيح له من الأسباب ، وأنَّه اذا انَغَلَقَ عليه بابٌ وسببٌ من الأسباب التي قدرها الله لرزقه فلا يتشوش لذلك ، ولا ييأس من فضل الله ، ويعلم أن جميع الأسباب مستندة إلى مسببها ، فيرجو الذي أغلق عليه هذا الباب أن يفتح له باباً من أبواب الرزق أوسع وأحسن من الباب الأول .

وهذه العبودية من أفضل عبوديات القلب ، وبها يحصل التوكل والكفاية والراحة والطمأنينة .

فهذه المرأةُ المتصلة بزوج ينفق عليها ، ويقوم بمؤنتها ، فإذا حصل لها فرقة منه ، وتوهمت إنقطاع النفقة والكفاية ، فلتلجأ إلى فضل الله ووعده بأنه سيغنيها .

وقال ﴿يُغْنِي اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعتّه﴾ ولم يقل يغنيها مع أنّ السياق يدلُّ عليه لئلا يتوهم اختصاصها بهذا الوعد ، وإنما الوعد لها وله ، فالله أوسع وأكثر ولكن هباته وعطاياه تبع لحكمته . ومن الحكمة أنّ من انقطع رجاؤه من المخلوقين ومن كُلِّ سبب واتصل أمله بربه ووثق بوعده ورجا بره فإن الله يغنيه ويقنيه . والله الموفق لمن صلح باطنه وحسنت نيته فيما عند ربه .

[من هو الراسخ في العلم ؟]

● الآية: ١٦٢ ■ فصل : الراسخ في العلم الذي مدحه الله هو المتمكن في العلم النافع المزكي للقلوب ، ولهذا وصف الله الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بمُحْكَم الآيات ومتشابهها ، ويردون المتشابه المحتمل للمُحكم الصريح فيؤمنون بهما جميعا ، ويُنزِلون النصوص الشرعية منازلها ويعلمون أنها كلها من عند الله وأنها كلها حق ، وإذا ورد عليهم منها ما ظاهره التعارض اتهموا أفهامهم وعلموا أنها حق لا يتناقض لأنه كله من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

وهم دائمًا يتضرعون إلى ربهم في صلاح قلوبهم واستقامتهم وعدم زيغها ويعرفون نعمة الله عليهم بعظيم هدايته وتمام البصيرة التي مَنَّ الله بها عليهم .

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنَّهم يدورون مع الحق أينما كان ويطلبون الحقائق حيثما كانت ولهذا وصف الله الراسخين من أهل الكتاب بأنهم يؤمنون بما أنزل الله على جميع أنبيائه ولا يحملهم الهوى على تكذيب بعض الأنبياء وبعض الحق فقال تعالى ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ والمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إليْكَ ومَا انْزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ والْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ والْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أَوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء : ١٦٢] .

(سورة المائدة) ● الآية: ٩٣ ■ قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَواْ وآمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا واللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة : ٩٣] .

تأملت في فائدة تكرار التقوى في هذه الآية ثلاث مرات فوقع لي أحد وجهين :

أحدهما : أن الأول للماضي ، والثاني للحال ، والثالث في المستقبل ، وبيان ذلك : أن قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أنّ جُناح نكرة في سياق النفي فتعم الماضي والمستقبل والحال لأنه نفى الجناح عن المؤمنين مطلقاً ، وهذا النفي العام لا ينطبق إلا على الأحوال الثلاثة ويكون هذا التكرار من مُحترزات القرآن التي يحترز الباري فيها عن كل حالة تقدر وتمكن، لأنهم لو اتقوا في الماضي أو في الحال أو فيهما دون المستقبل لم يَصدُق عليهم نفي الجناح ولابد في كل حالة من الأحوال التي تقام فيها التقوى من الإيمان والعمل الصالح ، ومن الإيمان والإحسان ، يؤيد هذا الاحتمال قوله : ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ﴾

[سورة البقرة : ٢٠٣] فإن قوله ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ نظير قوله ﴿جُنَاحٌ﴾ ولما كانت هذه الآية لا يتصور فيها الماضي كما هو بَيِّن لأنه شرط وجزاء للمستقبل ويصلح للحال قال ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ يعني في الحال لمن اتقى الله فيها ، ثم ذكر ما يصلح للمستقبل فقال ﴿واتَّقُوا الله﴾ فإذا قرنت هذه بتلك بانت لك فائدة التكرار وأنّ ذلك لأجل عموم الأزمنة .

الوجه الثاني :أنّ الأول في مقام الإسلام ، والثاني في مقام الإيمان ، والثالث في مقام الإحسان . والمؤمن لا تكمل تقواه حتى يترك ما حرّم الله ولا يتم إلا بهذه المقامات الثلاث ، لأنّ مقام الإسلام يقتضي وجود الأعمال الظاهرة مع الإيمان والتقوى فقال فيها: ﴿إِذَا مَا اتَّقُوا وآمَنُواْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

ومقام الإيمان لابد فيه من القيام بأركان الإيمان مع التقوى فقال فيه : ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وآمَنُواْ﴾ .

ومقام الإحسان لابد فيه من القيام بالإحسان مع التقوى فقال فيه : ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وأَحْسَنُوا﴾ .

فنفي الجناح العام لا يكون إلا لمن قام بمقامات الدين كلها .

وعلى هذين الوجهين ففي الآية الكريمة من بيان جلالة القرآن وعظمته وإحكام معانيه ورصانتها وعدم اختلالها واختلافها ما يشهد به العبد أنّه كلام الله حقاً وصدقاً وعدلاً ، وأنّه محتوٍ على أعلى رتب

البلاغة التي لا يقاربه فيها أي كلام كان .

وقـد يقـال أنّ كلا الوجهين مراد لأنّ اللفظ لا يأباه والمعنى مفتقر إليـه وطريقـة القرآن أن يُـحمل على أعمِّ الوجوه المناسبة لأنّـه تنزيل من حكيم حميـد عليم بكل شيء ، والله أعلمُ بمـراده وأسرار كتابه . اللهم ذكِّـرنَا مـنـه مـا نـسـينا وعلمنا منه مـا جـهلنا واجـعلنا ممن يتلوه حق تلاوته.

(سورة الأنعام)
● الآية: ٥١

■ قـوله تعالى : ﴿وَأَنْـذِرْ بِـهِ الَّـذِينَ يَـخَافُونَ أَنْ يُـحْشَـرُوا إِلَـى رَبِّـهِـمْ﴾ [سورة الأنعام : آية ٥١] .

ليس فـيـه نقص كما توهمه بعضهم وجعل الخوف بمعنى العلم ، وإنما فـيـه زيادة معنى نفيس وهو : أنه كما كان العلم نوعين : علم لا يثمـر العـمل بمـقتضاه ، وإنما هو حجة على صاحبه وهو غير نافع . وعلم يثـمـر العـمل ، وهو علم المؤمنين بأن الله سـيـبـعـثهم ويجازيهم بأعمالهم ؛ فأحـدث لهم الخـوف فـخـافـوا مـقـام ربهم ، وانتفعوا بنذارة الرسل ، وعلمـوا أنه ليس لهم من دون الله ولي ولا شـفـيع ، فـهـؤلاء الـذين أمـر الله رسـوله بنذارتهم ، لأنهم يعـرفـون قـدرها ، ويقـومـون بحـقـها ؛ وأما حالة المعرضين الغافلين ، والمعارضين المعاندين، فهؤلاء لا ينفع فـيـهم وعظ ولا تذكير لعـدم المقتضى والسبب الموجب . وهذا المعنى يأتي بها أشـبه هذا الموضع من القرآن والله ولي الإحسان .

● الآية: ١٥٨ ■ قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانُها﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

فسر النبي ﷺ ذلك بطلوع الشمس من مغربها .

فالأحاديث الصحيحة دلّت على أنّ أول الآيات طلوع الشمس من مغربها . والآية دلّت على أنّ أي آية من آيات الله التي هي مقدمات الساعة وبها يكون الإيمان اضطرارياً أتت فإنه لا ينفع الإيمان، لأنه إنما ينفع إيمان الاختيار وإيمان الغيب وإذا أتى بعض الآيات صار الإيمان بشهادة واضطرار فلا ينفع . فالآية دلت على التعليل والأحاديث دلت على الأولية والله أعلم .

[ما هو الأعراف ؟]

(سورة الأعراف) ■ **الأعراف** : موضع بين الجنة والنار يشرف على كل منهما ، وليس هو موضع استقرار ، إنَّما هو موضع أُناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم يمكثون فيه مدة كما يشاء الله ثم يدخلون الجنة ؛ وفي ذلك حِكَمٌ نبَّه الله تعالى عليها منها :

١ ـ إنّ هذا منزل به يستدل على كمال عدل الله وحكمته وحمده حيث جعل الله تعالى أسباب الثواب والعقاب تتجاذب وتتعارض ويقاوم بعضها بعضا فحسناتهم منعتهم من النار وسيئاتهم منعتهم الجنة في ذلك الوقت فصاروا وسطاً بين الدارين وفي برزخٍ بين المحلين لتظهر الحكمة أولاً ثم يأتيها الفضلُ من ذي الفضل العظيم الذي أحاط بالخلق من جميع الوجوه فيغمرها ويكون الحكم له ، ففي هذا تنويع حمده وتصريفه لعباده ما به يَعرِفُ العباد كماله وكمال اسمائه وصفاته وحكمته وعدله وفضله .

٢ ـ ومنها أنّ حالهم من جملة الأدلة على سعة رحمة الله وأنَّ رحمته سبقت غضبه وغلبته بحيث إذا تعارض موجب هذا وموجب هذا صار الحكم قطعا لموجب الرحمة على موجب الغضب . ومما يدل على هذا أنه إذا كان في العبد من موجب الرحمة مثقال ذرة من

إيمان فإنه لابد أن يصير الحكم له ولو عمل موجب الغضب عَمَلَهُ فالعاقبة لموجب الرحمة .

٣ ـ ومنها أنَّ الله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه ، فلما قضى تعالى أنهم سيدخلون الجنة جعل الطمع والرجاء في قلوبهم والدعاء أن يجيرهم من النار ولا يجعلهم مع القوم الظالمين على ألسنتهم ، والدعاء مع الرجاء والطمع لا تتخلف عند الإجابة .

٤ ـ ومنها أنَّ أهل الأعراف جعلهم الله سبباً يُعرف به ما يصير إليه أهل الدارين وما كان عليه أهل الشقاء من النكال والوبال وما عليه أهل الجنة من السرور والغبطة ، ولهذا ذكر الله توبيخهم لرجال يعرفونهم بسيماهم من أهل النار . . . إلى غير ذلك من الحِكَم الإلهية فيما يجريه من الأحكام على البرية .

● الآية: ٨٩

■ قول شعيب عليه السلام : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلنَا﴾ [سورة الأعراف: ٨٩] بعد قوله : ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَىٰ اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ [سورة الأعراف : آية ٨٩] .

من أعظم الأدلة على كمال معرفته بربه ، فإنه أولاً لما بين امتناع عودهم في ملة الكُفّار بحسب ما كان عليه من مِنَّة الله عليه بكراهته الشديدة لملتهم واغتباطه بإنجاء الله له منها وأنهم لو عادوا في

ملتهم بعد هذا كان من أعظم الافتراء على الله الذي يمتنع غاية الامتناع ممن هذا وصفه وكان هذا الامتناع أثراً عن ما يسر الله له من الأسباب ، استدرك الأمر بعد ذلك وعلم أنّ هذا الامتناع بحسب ما وصلت إليه علوم البشر وأنّ علم الله تعالى محيط بعلومهم فقد يعلمون شيئاً ويخبرون ما يترتب على عملهم مما يكون بحسب حكمة الله تعالى ومع ذلك فالله غالب على أمره ، وقد يتخلف العلم الذي علموه وأثره الذي حكموا به فقال ﴿إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ثم قرر ذلك بقوله ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ .

ثمّ لجأ إلى أعظم الأسباب الصادرة من العبد التي بها ينال ما عند الله من خير الدنيا والآخرة ودفع شرورهما وهو التوكل على ربه فقال : ﴿عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾ .

ثمّ بيّن ثقته التامة بوعد الله له بالنجاة هو وَمَن تَبِعَهُ وهلاك مَن خالفه فقال : ﴿رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾ .

● الآية: ٩٦ ■ الظاهر أنّ قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُواْ واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف : آية ٩٦] تفسير لقوله في الآية الأخرى ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [سورة المائد: آية ٦٦] فالسماء منها مادة الأرزاق ، والأرض محلها وموضعها .

● الآية: ١٤٤ **■ فصل : ينبغي لمن طمحت نفسه لما لا قدرة له عليه ، أو غير ممكن في حقه ، وحزنت لعدم حصوله أن يسليها بما أنعم الله به عليه مما حصل له من الخير الإلهي الذي لم يحصل لغيره**؛ ولهذا لما طمحت نفس موسى عليه السلام إلى رؤية الله تعالى وطلب ذلك من الله ، فاعلمه الله أن ذلك غير حاصل له في الدنيا وغير ممكن ، سلاّه بما أتاه فقال ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٤٤] .

وكذلك نبه الله رسوله وعباده المؤمنين على هذا المعنى بقوله ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [سورة النساء : آية ٩٠] .

فإن النظر إلى هذه الحالة وهو كف أيديهم عن المؤمنين ومسالمتهم بالنسبة إلى الحالة الأخرى وهي أنْ لو شاء الله لسلّطهم على المؤمنين فقاتلوهم ، مما يهون بها الأمر . فهم وإن لم يكونوا معاونين للمؤمنين فكذلك لم يكونوا معاونين عليهم أعداءهم .

ومما يشبه هذا أنَّ العبد مأمور أنْ ينظر إلى من دونه في المال والجاه والعافية ونحوها لا إلى من فوقه ، فإنه أجدر أن لا يزدري نعمة الله عليه . وكذلك إذا ابتُلِيَ ببليَّة فليحمد الله أن لم تكن أعظم من ذلك وليشكر الله إن كانت في بدنه أو ماله لا في دينه . وصاحب هذه الحال مطمئن القلب مستريح النفس صبور شكور .

(سورة الأنفال)
● الآية: ٤٣ - ٤٤

■ كثيرا ما يدور على ألسِنَة الناس : «إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه» ، دليل ذلك في القرآن قوله ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ الله سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وإِذ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الأنفال : ٤٣ ـ ٤٤] .

● الآية: ٤٥ - ٤٦

■ اتفاق المقاصد والاجتماع من أكبر الأسباب لحصول المطالب المهمة ، كما أن اختلاف الإرادات وحصول التنازع من أسباب الفشل وتفويت المصالح ويدل على هذا قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذْا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً﴾ [سورة الأنفال : آية ٤٥] .

إلى قوله : ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتذهب رِيحُكُمْ واصْبِرُوا إِنّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال : آية ٤٦] .

وإذا كان هذا في قتال الأعداء الذي هو أشد الأشياء وأصعبها فغيره من الأمور من باب أولى وأحرى .

(سورة التوبة)
● الآية: ٨ ، ١٠

■ قوله تعالى: ﴿لاَ يرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ [سورة التوبة : آية ٨] وفي الآية الأخرى ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَذِمّة﴾ [سورة التوبة: آية ١٠] دليل على معاداتهم للصحابة خصوصا وعموماً .

فخصوصاً : لما بينكم وبينهم من العداوة وآثارها .

وعموماً : لإيمانهم . فلم تكن هذه العداوة لهم إلا لأجل الإيمان فهم أعداء الإيمان وأعداء كل مؤمن ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة البروج : آية ٨] وهذا هو الاعتداء التام فلذلك حصر الاعتداء فيهم بقوله ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ .

● الآية: ١٢ ■ قوله تعالى : ﴿وَإِنْ نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢] أوقع الظاهر وهو قوله : ﴿أَئِمَّةَ الكُفْرِ﴾ موقع المضمر ، فلم يقل : فقاتلوهم ليدلّ على الحضِّ على قتالهم وأنهم تمكنوا من الكفر .

ودلَّ على أنّ بهذه الأشياء يكون الإنسان من أئمة الكفر ؛ وهو: نقض العهود ، والدعوة إلى دين الكفر ، والطعن في دين الإسلام .

ويدل هذا على أنّ أئمة الإيمان ضدهم فهم المؤمنون الملتزمون لشرائع الإيمان الموفون بعهوده الداعون إلى الله الذابون عنه المبطلون لما ناقضه ظاهراً وباطناً ، وأنّهم الموثوق بهم ، ومحل القدوة والأمانة ، نسأل الله تعالى من فضله .

● الآية: ٢٨ ■ قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [سورة التوبة : آية ٢٨] دليل على أن قوله تعالى : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [سورة الحج : آية ٢٦] .

عام لتطهيره من النجاسات الحسية والنجاسات المعنوية .

• الآية: ٣٤ ■ قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة : آية ٣٤] .

ذكر الله فيها جماع الأموال المحرمة ، وأنّ الآكلين لها صنفان :

أحداهما : من أخذها بغير حقها وأخذ أموال الناس بالباطل من الغصوب ونحوها ، والرشاء ونحوها . .

وتناول من له مستحق يُبذلُ له ويأخذهُ بحسبِ قيام الوصف به ، وليس به فدخل في ذلك مصارف الصدقات والأوقاف والزكوات والكفارات والنفقات ونحو ذلك .

والصنف **الثاني** : من منع الحق الذي عليه من ديون الله وديون الآدميين وكلاهما أكل للمال بالباطل .

• الآية: ٣٥ ■ قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [سورة التوبة : آية ٣٥] .

قال يوم يحمى عليها ولم يقل يوم تحمى في نار جهنم ليدل ذلك على أنها مع حرارة نار جهنم تستعمل لها الآلات المحمية كالمنافيخ ونحوها ، فيضاعف حرها ، ويشتد عذابها .

وذكر المفسرون رحمهم الله تعالى مناسبة لتخصيص كي جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك لأنه إذا جاءهم الفقير السائل صعَّرَ أحدهم بوجهه فإذا أعاد عليه ولاه جنبه فإذا ألحَّ عليه ولاه ظهره ، فاختصت هذه الثلاث لذلك جزاء وفاقا .

وظهر لي معنى أولى من هذا وهو أنَّ كي هذه المواضع الثلاثة هي أشدُّ على الإنسان من غيرها ، وهي متضمنة لجهاته الأربع الأمام والخلف واليمين والشمال ، وهذه الوجوه التي يخرج منها الإنسان فلما مَنَعُوا الواجب عليهم منعاً تاماً من جميع جهاتهم جُوْزُوا بنقيض مقصودهم ؛ فإن مقصودهم من المنع التَمَنُّع بتلك الأموال ، وحصول النعيم بها ، وخوف وحرارة فقدها لو بذلوها ؛ فصار المنع هو عين العذاب . فلو أنهم أخرجوها وقت الإمكان لسلموا من كيها وفازوا بأجرها ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ويدل عليه أيضاً قول النبي ﷺ: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله»(١) وفي اللفظ الآخر : «هم الأخسرون ورب الكعبة» فمن خسارتهم أنهم فاتهم ربح أموالهم وسلامتهم من تبعتها وكيها ؛ ويؤيد هذا : أن المعنى الذي ذكره المفسرون ليس في اللفظ ما يدل عليه ، وليس أيضا لازما لكل مانع ؛ فقد يمنع الفقير والسائل وهو بغير تلك الصفة ، وقد يكون عنده حق واجب لا يطلب ويسأل أن يعطاه فيستحق هذا الجزاء . والله أعلم .

(١) جزء من حديث رواه البخاري في (١١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) ، ومسلم (٧/ ٧٥ ـ ٧٦) .

● الآية: ٣٦ ■ قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَٰبِ اللهِ﴾ [سورة التوبة : آية ٣٦] دليلٌ على أن هذه الشهور المعروفة قد ألْهَمَ الله العباد لها وفطرهم عليها ، وأنَّ ذلك موافق لقدره وشرعه ، ويستدلُ بها من قال : إنّ اللغة إلْهامٌ من الله لا اصطلاح اصطلح عليه العقلاء ؛ والله أعلم .

● الآية: ٣٦ ■ قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَٱعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة : آية ٣٦] .

في هذه الآية الكريمة فوائد :

أحدها: وجوب قتال المشركين لأن الأمر الأصل فيه الوجوب .

الثانية : إن ذلك فرض على جميع المؤمنين وهذا مأخوذ من قوله ﴿وقاتلوا﴾ لا من قوله ﴿كافةً﴾ فإن كافه حال المشركين على الصحيح . فخطاب الله للمؤمنين جميعا بقوله ﴿وقاتلوا﴾ يدل على ذلك ، ولكن هذا الغرض على الكفاية على القادر لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٢] ، وقوله : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [سورة النور : آية ٦١] .

الثالثة : إن هذا القتال لجميع المشركين لا يختص به أحد دون أحد .

الرابعة : إن المستكبرين عن عبادة الله من أنواع الملاحدة

والدهرية أولى بالقتال من المشركين .

الخامسة : أنَّ قتالهم مستحق بشرطين : كونهم مشركين ، وكونهم مقاتلين . فمتى زال أحد الوصفين لم يقاتلوا . فالمسلم لا يقاتل لوصفه الذي اتصف به من الظلم والمعاصي ؛ وإنما يقاتل المفسد منهم كالبغاة والخوارج ونحوهم . وكذلك من لم يقاتل المسلمين من المشركين لا يقاتلون؛ إما لكونه ليس أهلا للقتال كالنساء والأطفال والشيوخ والرهبان ونحوهم ، وإما لكونه أخلد للمسلم وأقر بالجزية.

السادسة : فيه دليل أيضا على أن الجزية تقبل من كل مشرك بذلها ـ ولو صح ـ لم يكن من أهل الكتاب [فقط] لهذا العموم ؛ وهذه الفائدة السادسة .

والسابعة : فيه التنبيه على الإخلاص في الجهاد ، وأنهم يقاتلون لوجه الله ولكونهم اتصفوا بما يبغضه الله وهو الشرك ، فليكن الحامل لكم أيها المؤمنون على قتالهم موافقة ربكم في بغضه وعداوته لهم ، لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا .

الثامنة : التهييج للمؤمنين على قتال المشركين ، وذلك أنهم يقاتلون المؤمنين كافة ، فكل من اتصف بالإيمان : فطبعهم الخبيث معاداته وقتاله لأجل إيمانه ، أفلا تقاتلون أيها المؤمنون من كفروا بما جاءكم من الحق وعاندوه وحاربوه ؟! فلتكونوا في عداوتهم متفقين على حربهم جاهدين .

التاسعة : الإجهاز على التحقق بتقوى الله لتنال بذلك معونة الله ومعيته .

العاشرة : إنّ معية الله نوعان :

١ ـ **عامة** : يدخل فيها البر والفاجر كقوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] وما أشبهها من الآيات الدالة على كمال العلم والمجازاة .

٢ ـ **وخاصة** : لمن قام بمحبوبات الله من الإيمان والإحسان والصبر والتقوى كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: آية ٦٩] و ﴿مَعَ الصَّابِرِين﴾ و ﴿مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذه المعية تقتضي مع العلم والجزاء الحسن العون والنصرة والتأييد والقرب الخاص .

الحادية عشر : بلغ فيها التنبيه على أسباب الانتصار على الأعداء وهو الاتفاق على قتالهم وعدم المنازعة، والاخلاص لله تعالى، وشدة العداوة التي من لازمها أن يبذل ما يستطاع ويمكن في قتالهم ، ويدخل في ذلك إعداد السلاح والخيل والقوة بجميع أنواعها ، وكذلك حصول اليقين بمعية الله ، والاتصاف بالتقوى ، فمتى اجتمعت هذه الأسباب لم يتخلف عنها النصر . وبحسب ما يفوت منها يفوت من النصر .

وبهذا ونحوه يُعلم أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع أبوابها منتظمة لمصالح الدنيا والآخرة وبالله التوفيق .

● الآية : ٣٧

■ قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [سورة التوبة : آية ٣٧] .

فيها دلالة على تحريم الحِيَل المتضمنة تغيير دين الله بإسقاط الواجبات وإحلال المحرمات بالتوصل إلى ذلك بصورة المباح . ووجه هذا أنّ الله تعالى ذَمَّ أهل النسيء وجعل هذا من زيادة كفرهم ، وهم يقدمون شهراً أو يؤخرونه ويبدلون الشهر الحرام بالشهر الحلال وبالعكس ، ويجعلونه العدد الذي يصطلحون عليه ويسمونها بالأشهر الحرم ويتجنبون فيها ما يتجنبون في الأشهر الحرم ، فهم غيَّروا صورتها وأسمائها وعلَّقوا التحريم والتحليل على الصورة والاسم لا على الحقيقة والمعنى ، وهذه الحيل بعينها من غير فرق والله أعلم .

(سورة يونس)

● الآية : ٩٦

■ توطين النفس على عدم الانقياد للحق لا ينفع معه تذكير ولا وعظ قال تعالى : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [سورة الإسراء : آية ٤٧] ، ولهذا يذكر الله المعنى في سياق الإخبار عن عدم إيمان الكفار وانقيادهم وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فكما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا

يُــؤْمِنُونَ وَلَوْ جَـآءَتْـهُـمْ كُلُّ آيَـةٍ حَتَّـىٰ يَـرَوُاْ ٱلْـعَذَابَ ٱلأَلِـيمَ﴾ [سورة يونس : آية ٩٦] ويذكر تعالى أن الذي ينتفع بالتذكير هو الذي يطلب الحق والإنصاف فهذا إذا تبين له الحق انقاد له والله أعلم .

(سورة هود)
● الآية: ١٢

■ الداعي إلى الله وإلى دينه له طريق ووسيلة إلى مقصوده ، وله مقصودان . فطريقة الدعوة : بالحق إلى الحق للحق ، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة بأن كان يدعو بالحق أي : بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وكان يدعو إلى الحق وهو : سبيل الله تعالى وصراطه الموصل لسالكه إلى كرامته ، وكانت دعوته للحق أي: مخلصاً لله تعالى قاصداً بذلك وجه الله ؛ حصل له أحد المقصودين لا محالة ، هو : ثواب الداعين إلى الله ، وأجر ورثة الرسل بحسب ما قام به من ذلك . وأما المقصود الآخر وهو حصول هداية الخلق وسلوكهم لسبيل الله الذي دعاهم إليه ، فهذا قد يحصل وقد لا يحصل، فليجتهد الداعي في تكميل الدعوة كما تقدم وليستبشر بحصول الأجر والثواب .

وإذا لم يحصل المقصود الثاني وهو هداية الخلق أو حصل منهم معارضة أو أذِيَّة له بالقول أو بالفعل فليصبر ويحتسب ، ولا يوجب له ذلك ترك ما ينفعه وهو القيام بالدعوة على وجه الكمال ، ولا يضيق صدره بذلك فتضعف نفسه وتحضره الحسرات ، بل يقوم بجد واجتهاد ولو حصل ما حصل من معارضة العباد . وهذا المعنى تضمنه إرشاد الله بقوله تعالى ﴿فَلَعَلَّـكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُـوحَـىٰ إِلَيْـكَ

وَضَائِقٌ بِهِ صَدرُكَ أَن يَقُولُوا لَولاَ أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة هود: آية ١٢] فأمره بالقيام به بجد واجتهاد مكملا لذلك غير تارك لشيء منه ولا حرج صدره لأذيتهم ؛ وهذه وظيفته التي يُطالب بها فعليه أن يقوم بها ، وأما هداية العباد ومجازاتهم فذلك إلى الله الذي هو على كل شيء وكيل .

(سورة يوسف)
● الآية: ٣٣

■ إذا صدق العبد في حبه ما أمر الله به ، وكراهته لما نهى الله عنه ، وبذل جهده في فعل المحبوب وترك المكروه ، واستعان بالله وتضرع إليه في التوفيق لفعل ما يحبه والحفظ مما يكرهه ؛ فإن الله أكرم الأكرمين ولا يخيب عبداً هذا شأنه ولو توالت وتكاثرت الأسباب المعارضة، فإن هذا السبب المجتمع من ثلاثة(١) هذه الأشياء لا يتخلف عنه عند مسببه ، وإنما يأتي العبد النقص من إخلاله بها أو بأحدها ، ولهذا لما اجتهد يوسف الصديق عليه السلام في السلامة من شر مراودة امرأة العزيز ومن أعانها على مرادها ، وصدق في حبه وإيثاره طاعة الله على طاعة النفس ، وتضرع إلى الله تعالى وتوكل عليه في حفظه وصيانته ، استعصم وحفظه الله وصرف عنه السوء والفحشاء فقال عليه السلام ﴿رَبِّ السِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ﴾ [سورة يوسف : آية ٣٣] . فاختار السجن المتضمن للعقوبة والاهانة

---

(١) أي المحبة الصادقة لله بمقتضياتها ، والاستعانة به ، والتضرع إليه .

على مراد النفس الدَّني المشمر للخسران الدايم ، وتَمَلَّق إلى الله وتضرع في صرف كيدهن واجتهادهن في فتنته ، وفوض الأمر إلى ربه وعلم أنّ الله إن وكَّلَه إلى نفسه ولم يصرف عنه كيدهن فلابد أن يصبو إليهن ويفعل أفعال الجاهلين لأن هذا طبع النفس إلا من رحم الله .

● الآية: ٣٩ ■ إبطال قول الخصم قد يكون بإبطال الدليل الذي استدل به ، أو إبطال دلالته على مطلوبه ، وقد يكون بإبطال نفس المقالة التي ينصرها وإفسادها ، وقد يكون بإثبات نقيض ما قاله الخصم قولا ودليلا لأنّ النقيض للشيء متى صحَّ أحدهما بطل الآخر . وقد اجتمعت هذه الأمور في قول يوسف عليه السلام محتجا على صحة التوحيد وإبطال الشرك ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف : آية ٣٩ ـ ٤٠] فأبطل الشرك وصَوَّر قبحه عقلا ونقلا ، وإنّ ما يُدعى من دون الله آلهة متفرقة كل فريق يزعم صحة قوله وإبطال الآخر . والحال أنّه لا فرق بينهما . وأنّ المُشْرِك فيه شركاء متشاكسون ، وأن هذه المعبودات من دون الله ليس فيها شيء من خصائص الإلهية ، فليس فيها كمال يوجب أن تُعبد لأجله ، ولا فِعال بحيث تنفع وتضر فتُخاف وتُرجى ، إنما

هـي أسماء لا حـقـائق لها ؛ ومع ذلك مـا أنزل الله بها من سلطان على عـبادتها فليس في جميع الحجج الصحيحة ما يدل على صحة عبادتها بل اتفـقت الحـجج والبراهين كلها على إبطالها وفسادها وعلى إثبات العبادة الخـالصـة لله الواحـد الذي انفـرد بالوحـدانيـة والكمال المطلق من جميع الوجـوه ، الذي ليس له شـبيـه ولا نظير ولا مـقارب وهو القهار لكل شيء فكل شيء تحت قـهـر الله وناصـيتـه بيد الله ، فالواحد القهار هو الذي يسـتحق الحب والخضوع والانكسار لعظمته والذل لكبريائه .

● الآية: ٥٠ ■ سـعي الإنسـان في دفع أسباب التهمة السيئة عن نفسه والعار والفـضيحة ليس بعار ؛ بل ذلك من سيم الأخيار ولهذا لم يجب يوسف عـليـه الـصـلاة والسـلام الداعي حين دعـاه إلى الخـروج من السـجن والحـضور عند الملك حتى يتحقق الناس براءة ما قيل فيه ﴿فَلَمَّـا جَاءَهُ الـرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِـعْ إِلَـىٰ رَبِّكَ فَسْئَلَهُ مَا بَالُ ٱلنِّسـوَةِ ٱللاتِـي قَطَّـعْـنَ أَيْـدِيَـهُـنَّ إِنَّ رَبِّـي بِكَيْدِهِـنَّ عَلِيـمٌ﴾ [سـورة يوسف : آية ٥٠] .

(سورة الحجر) ● الآية: ٩ ■ قـوله تعـالى : ﴿إِنَّـا نَـحْـنُ نَـزَّلـنَا الذِّكْـرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر : آية ٩] **اشتملت على فوائد عديدة :**

الأولى والثانية : أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنّ الله تعالى علـيٌّ على خلقـه . وهذا مأخـوذ من قـوله ﴿نَـزَّلنَا الذِّكـرَ﴾ فإنه نزل به جـبريل من الله العـزيز العليم ، فكونه نازلاً من عند الله يدل على علو الله ، وكـونه أيضـاً من عنده يدل على أنّه كـلام الله ، فإنّ الكلام صفة

للمتلكم ونعت من نعوته .

الثالثة : عظمـة القـرآن ورفـعـة قدره وعلو شأنه . حيث أخبر تعـالى في هذه الآية بما أخبر أنه الذي تولى إنزاله وحـفظه ولم يكِـل ذلك إلى أحد من خلقه .

الرابعة : أنّ القـرآن مشـتـمل على كل ما يحتاج العباد إليه من أمـور الدنيـا وأمـور الدين ومن الأحـوال الظاهرة والباطنة . فإن معنى الذكـر : أنه مـتـضـمن لتـذكير العـبـاد وتنبيههم لكل ما يحتاجون إليه وتتـعلق به منافـعـهم ومـصـالحهم والأَمـرُ كذلك فإنه مشتمل على أمور الدين والدنيـا ومـصـالحـهما على أكـمل وجـه وأشـمله بحيث لو تَذَكَّـر الخـلـق بـتـذكـيره ومـشـوا عـلى إرشـاده لاسـتـقـامت لهم جميع الأمـور ولاندفـعت عنهم الشرور . ولهذا أكـثـر الله في القـرآن من حثٍّ العـباد عـلى الاهـتـداء بـه في كـل شيء والتَفَكُّـر والتَّـدَبُّـر لمعـانيـه النافـعـة . ويترتب على هذا المعنى :

الفائدة الخامسة : وهـي أنّ من قـام بالقـرآن وتذكـر به كـان رفـعـةً له وشرفـاً وفـخـراً وحُـسْـنَ ذكـرٍ وثناء . وبهذا أُوِّلَ قـوله تعالى : ﴿وَإِنَّـهُ لَذِكـرٌ لَّـكَ وَلِقَـومِـكَ﴾ [سـورة الزخـرف : آية ٤٤] أي شرف ورفـعة لمن تذكر به واستقام عليه .

السادسة : أنّ التـذكير بغيره غير مـفـيد ولا مُـجْدٍ على صاحبه نفـعـاً لأنه إذا ثبت وتقـرر أنه مـادة التـذكير لجـميع المنافع عُلِـم أنّ ما

ناقضه وخالفه فهو بضد هذا الوصف . ولهذا أتى بالألف واللام المفيدة للاستغراق والعموم .

السابعة : أنه أتى بما يوافق العقل الصحيح والفِطَرِ المستقيمة فليس فيه شيء مخالف ولا مناقض للمحسوس ولا معاكس للقياس الصحيح ولا مضاد للعدل والقسط والميزان والحق ، لأنّ الله سماه ذكرا ، والذكر هو الذي يُذَكِّر العباد ما تقرر من فطرهم السليمة وعقولهم الصحيحة من الحق والحث على الخير والنهي عن الشر ، فهو مُذَكِّرٌ لهم ما عرفوه مجملاً ولم يهتدوا إلى كثير من تفاصيله . فبه تزداد العقول وتتفتق الأذهان وتزكو الفطر ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا المعنى كتاب «موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح» .

الثامنة : أنّ الله تكفل بحفظه حال إنزاله فلا يمكن أن يقربه شيطان فَيُغَيِّره ويزيد فيه وينقص ، أو يختلط بغيره ؛ بل نزل به القوي الأمين جبريل على قلب الرسول محمد ﷺ القلب الزكي الذكي الذي هو أكمل قلوب الخلق على الإطلاق وضَمِنَ لرسوله قرآنه وبيانه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة : آية ١٨ ـ ١٩] .

التاسعة : وتكفّل الله أيضاً بحفظه بعدما نزل وتقرر ، فأكمله الله تعالى وأكمل به على عباده النعمة ، واستحفظه لهذه الأمة على اختلاف طبقات علمائها وأئمتها ، ووكّلهم به وأئمنهم عليه . فكل

قرن حمل عدو له وأزكياؤه الذين ضمن الله لهم العصمة عند اتفاقهم . ألفاظه ومعانيه غضة طرية لا تغيير فيها ولا تبديل ، وكل من أراد إدخال شيء فيه أو إخراج شيء منه قَيَّضَ الله من يذب عنه ويحفظه وهذا من حفظه ، ويؤيد هذا :

الفائدة العاشرة: أنَّ هذا من أدلة صدقه وصدق ما اشتمل عليه وصدق من جاء به وهو محمد ﷺ فإنه تعالى خَبَّرَ بأنَّه أنْزَلَه وأنّه حافظ له فوقع كما أخبر الله تعالى فصار هذا آيةً وبرهاناً على صدقه وصحة ما جاء به كما يشهد بذلك الواقع .

(سورة الكهف) ● الآية: ٥

■ قوله تعالى : ﴿مَّا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ وَلاَ لِأَبَائِهِم كَبُرت كَلِمَةً تَخرُجُ مِن أَفوَاهِهِم إن يَقُولُونَ إلاَّ كَذِباً﴾ [سورة الكهف : آية ٥] أبطل به قول من زعم أنّ لله ولدا من ثلاثة أوجه بل من أربعة:

احدها : أنه قول بلا علم ، ومن المعلوم أنَّ القول بلا علم من أعظم المختلقات ، وأن ذلك من الجهالات والضلالات خصوصاً في أعظم المسائل وأهمها وهي مسألة التوحيد وتَفَرُّد الباري جل جلاله بالكمال وتَنَزُّهِهِ عن كل ما لا يليق بجلاله من أنواع النقائص المنافية لكمال الربوبية وعظمة الإلهية ؛ فنفى عنهم العلم ونفى عنهم التقليد لأهل العلم فلم يقولوا شيئاً يعلمونه ولا اقتدوا بالعالمين ، بل هم وآباؤهم في ضلال مبين .

والوجه الثاني : قوله : ﴿كَبُرَت كَلِمَةً تَخرُجُ مِن

أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي عَظُمَت وزادت في الشناعة إلى حدٍّ يستعجب كيف نطقوا بها وكيف خرجت هذه الكلمة الشنيعة من أفواههم التي ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [سورة مريم : آية ٩٠ ـ ٩١] وإنَّما كانت شنيعة جداً لأنها متضمنة لشتم رب العالمين وسبه كما قال في الحديث الصحيح : «شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك وكذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك أما شتمه أياي فقوله إن لي ولداً وأنا الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفواً أحد الخ»(١) فأي شتم أعظم من هذا الشتم الذي مضمونه حاجة رب العالمين إلى اتخاذ الصاحبة والولد ومنافات وحدانيته وتفرده بالكمال .

الوجه الثالث : قوله : ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ فسجل على أن قولهم هذا هو الكذب الصراح والإفك المبين ، وتأمل كيف ارتقى في إبطاله من وجه يُبطله ويُفسده إلى وجه آخر يزيد في إبطاله إلى وجه ثالث لا يُبقي ريبٌ ولا شكٌ لكل ذي بصيرة في إبطاله ، فنفى العلم بوجوهه وشَنَّع ما قالوه وعظَّمه وأخبر عن مرتبته وأنه قول في أخسِّ المراتب وأسفلها وهو الكذب والافتراء .

والوجه الرابع : ما يحصل به من مجموع هذه الأوجه ، فإن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي : باب قول الله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ (٦/ ٢٨٧) وكتاب التفسير : سورة (١١٢) تفسير سورة الإخلاص (٨/ ٧٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الهيئة الاجتماعية يحصل منها أثرٌ ودلالة غير ما حصل لكل وجه على انفراده ، ويحصل بها من تصريح الدلالة ما يتضح به الحق وينجلي ؛ وهكذا كل مسألة عليها عدة أدلة فإنه يحصل بكل دليل على انفراده علم ثم يحصل بالدليل الآخر علم آخر ثم يحصل باجتماعهما علم آخر وهكذا كلما كثرت وتعددت . وبهذا ونحوه يعلم أن المسائل الكبار كمسألة التوحيد وفروعه ، ومسألة المعاد ، ومسألة النبوة ؛ أنَّ من تتبع أدلتها واستقرأ براهينها فإنه يَحْصُلُ له من حق اليقين ومن العلم الكامل فيها مالا يحصل في غيرها من المسائل التي هي دونها . وهذا من أجلِّ قواعد الإيمان وأفضل العلوم النافعة وأعظم ما يُقرِّب إلى رب العالمين .

[سورة مريم عليها السلام اشتملت على تفاصيل عظيمة من رحمة الله بأوليائه وأعدائه]

(سورة مريم) ■ سورة مريم عليها السلام قد اشتملت على تفاصيل عظيمة من ذكر رحمة الله بأنبيائه وأصفيائه وأحبابه وما مَنَّ عليهم به في الدنيا من نعم الدين والدنيا والنعم الظاهرة والباطنة وما يُكْرِمَهُم به من الذكر الجميل والثناء الحسن ، ووصفهم بأحسن أوصافهم ونعتهم بأشرف نعوتهم ، وما يُكْرِمَهُم به في الآخرة من الثواب والفضل العظيم . وذكر رحمته أيضا بأعدائه حيث عاملهم بالحلم والصفح وتصريف الآيات لعلهم يرجعون ما عَظُمَ ما أتوا به من الشرور وعظائم الأمور . ولذلك أكثر الله فيها من ذكر اسمه الرحمن الذي هذه آثاره ومن ذكر الرحمة ، فنسأله تعالى أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين .

● الآية: ٧ ■ قوله تعالى : ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [سورة مريم : آية ١٢] .

ذكر كثير من المفسرين أنّ تقديره ﴿فوَهَبْنا لَهُ يَحْيىٰ﴾ وقلنا : ﴿يَا يَحيَىٰ﴾ الخ ، ولا يحتاج إلى هذا فإنه صرَّح أولاً ببهبته يحيى في قوله : ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ [سورة مريم:

آية ٧] فلو ذكر بعد ذلك لكان تكرير لا يحتاج إليه .

• الآية: ٥٩ ■ قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم : آية ٥٩] . [أي] : عذاباً مضاعفاً شديداً .

﴿اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ بمعنى أرادوها وصارت هي همهم وانقادوا لها وصاروا مطيعين لها فلذلك قال ﴿اتَّبَعُوا﴾ ولم يقل تناولوا وأكلوا ونحوه لهذا المعنى لأنّ هذا الذم إنما يتناول متبعي الشهوات فمهما اشتهت نفوسهم فعلوه على أنه المقصود المتبوع .

ومن المعلوم أنّ النفس من طبعها أنّها أمّارة بالسوء فإذا كان هذا طبعها علم أنّ ذمهم على اتباع الشهوات يدخل فيه المعاصي كلها فلذلك رتّبَ على هذا العقاب البليغ في قوله : ﴿فَسَوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ وهذا بخلاف المؤمن المطيع لله فإنه وإن تناول الشهوات فإنه لا يتبعها ولا تصير أكبر هَمِّه ولا مبلغ علمه بل يتناولها على وجه تكون هي تابعة لغيرها لا متبوعة . وخواص المؤمنين يتناولون الشهوات بقصد التوسل بها إلى القربات فتنقلب طاعات ؛ ونظير هذا أنّ الذي تناوله الذم هو اتباع الهوى وهو كونه متبوعاً بأن يتخذ العبد إلهه هواه لا مجرد أن يكون للعبد هوى فكل أحدٍ له هوى ولكنّ المؤمنين كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات : آية ٤١] .

● الآية: ٦٥ ■ قوله تعالى : ﴿رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ [سورة مريم : آية ٦٥]

اشتملت على أصول عظيمة :

١ ـ **على توحيد الربوبية** وأنه تعالى رب كل شيء وخالقه ورازقه ومدبره .

٢ ـ **وعلى توحيد الأُلوهية والعبادة** وأنه تعالى الإله المعبود . وعلى أن ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده ولهذا أتى فيه بإلغاء قوله فاعبده الدالة على السبب أي فكما أنه رب كل شيء فليكن هو المعبود حقا فاعبده .

٣ ـ ومنه **الاصطبار لعبادته تعالى** وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى فيدخل في هذا **أعلى أنواع الصبر** وهو : الصبر على الواجبات والمستحبات والصبر عن المحرمات والمكروهات ، بل يدخل في ذلك الصبر على البليات فإن الصبر عليها وعدم تسخطها والرضى عن الله بها من أعظم العبادات الداخلة في قوله : ﴿واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ .

٤ ـ **واشتملت على أنّ الله تعالى كامل الأسماء والصفات** ، عظيم النعوت ، جليل القدر وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي بل قد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات . ودل على هذا أكبر الأدلة على أنه الذي لا تنبغي العبادة الظاهرة

والبـاطنة القلبيـة والبـدنيـة والماليـة إلا لوجـهـه الكريم خـالصـة مُـخْلَصـة كما خَلُصَ لـه الـكمال والـعـظـمـة والـكـبرياء والمجـد والجلال.

٥ ـ ومنهـا بطـلان الشرك عـقـلا ونقـلا فكـيف يليـق بالعاقل أن يجعل المـخلوق الناقص الذي لا يملك لنفسـه ولا لغيره نَفـعـاً ولا ضراً ولا مـوتـاً ولا حـيـاة ولا نشـورا نِدّاً لمن لا كُفْـء له ولا سـمي ولا مـشـابه بوجه من الوجوه فهل هذا إلا من السفه والضلال والجهل المفـرط والضرر من كل الوجوه!! .

٦ ـ ودلت على أنّ الشرك قـد تقـرر في الـعـقـل قبـحه وأنّ التـوحيد قد تقـرر في العـقل حـسنه فكما لاسـميَّ لله فـلا أحـسن من عـبادته وإخـلاص العـمل له ، ولا أنفع للعـبـد من ذلك ولا أصلح ولا أزكى . ومن المتـقـرر شرعـاً أنَّ الإحسانَ في عبادة الله تعالى الذي هو سـبب كل خير عـاجل وآجل بل سـبب لأعلى المراتب وأكمل الثـواب ، هو كما قال النبي ﷺ : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١) فكـلما حقق العبد هذا الأمر كان له نصيب وافـر من العبادة بل هو أهم الأمور ، ولهذا أمر النبي ﷺ معاذ بن جبـل أن يـسـأل الله تعـالى أن يعـينه على ذكـره وشكره وحـسن

(١) جزء من حديث جبريل الطويل المشهور ، أخرجـه مسـلم في «صحيحـه» (برقم ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

عبادته(١) وهذا أمر يَقِلُّ من الخلق من يحققه ويتصف به على وجه الكمال لمشقة ذلك على النفوس فإذا امتثل العبد لأمر ربه بالاصطبار لعبادته وحبس النفس وتوطينها على إحسان العبادة ، خصوصا أفضل العبادات وأعظمها وهي الصلاة ، كما أمر الله بالاصطبار عليها خصوصا فقال : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه : آية ١٣٢] استنار قلبه بالإيمان وباشر حلاوته ، فانجذب إلى عبادة الله وإخلاص العمل له ، وعلم أنّ هذا هو الفلاح الدايم والربح المتضاعف الذي لا خسارة فيه فَصَبَّر نفسه قليلا ليستريح بأعظم اللذات طويلا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(سورة طه) ● الآية: ١٣١

■ قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنهُم زَهْرَةَ ٱلحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طه : آية ١٣١] .

تضمنت التزهيد في الدنيا وأنّ غضارتها وحسنها الذي متع به المترفين ليس لكرامتهم عليه وإنما ذلك للابتلاء . والاختبار لينظر أيهم أحسنُ عملا وأيهم أكمل عقلا ، فإن العاقل هو الذي يؤثر النفيس الباقي على الدَّني الفاني ، ولهذا قال : ﴿ورِزْقُ رَبِّكَ﴾ أي : الذي

---

(١) صحيح ـ أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٧) وأبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٣/ ٥٣) وغيرهم ،عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيد معاذ فقال : «يا معاذ والله إني لأحبك». فقال معاذ: بأبي أنت وأمي والله إني لأحبك. فقال : «أوصيك أن لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

أعـده للطائعين الذين لم يذهبـوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولم يغرهم رونق الدنيـا وبهجتـها الزائلة بل نظروا إلى باطن ذلك حين نظر الجهال إلى ظاهرها وعـرفـوا المقـصـود ومـقـدار التـفـاوت ودرجـات الأمـور ، فـرزقُ الله لهـؤلاء خـير وأبـقـى أي : أكـمل في كل صنف من أصناف الـكمال وهـو مـع ذلـك باقي لا يزول . وأمّـا مـا متّـع به أهل الدنيـا فـزهرة الحـيـاة الدنيا تمر سريعا وتذهب جميعاً ، ولهذا نهى الله رسوله أن يمـد عـينيـه إلى مـا متع به هؤلاء ومد العين هو التطلع والتشرف لذلك لا مجرد نـظر العين وإنما هو نظر القلب ، ولهذا لم يقل ولا تنظر عـيناك إلى مـا مـتـعنا به أزواجـاً (الآية) فمد العين متضمن لاستحسان القلب وتطلعه إلى ذلك .

ومـثـل ذلـك قـولـه ﴿وَاصْبِـرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُـونَ رَبَّـهُـم بِالـغَدَاةِ والـعَشِـيِّ يُـرِيـدُونَ وَجْـهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَينَاكَ عَنْـهُـمْ تُرِيدُ زِينَـةَ الحَياةِ الدُّنْيَـا﴾ [سـورة الكهـف : آية ٢٨] فهـذه الآية بيـنت المراد من تلك الآية وإنّ نظر العين المقـرون بإرادة زينة الحياة الدنيا ، ونظير ذلك قـولـه تعـالى : ﴿وَلَقَد آتَيْـنَاكَ سَبْعَـاً مِّـنَ الـمَثَانِـي وَٱلقُـرْآنَ ٱلعَظِيمَ لاَ تَـمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَـىٰ مَا مَتَّـعْنَا بِـهِ أَزْوَاجـاً مِّـنهُـم وَلاَ تَـحْـزَنْ عَلَيْـهِـمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلـمُـؤْمِنِـينَ﴾ [سـورة الحـجـر : آية ٨٧] فنبـهه الله تعـالى على الاغـتـبـاط بما آتاه الله من المثـاني والقرآن العظيم وامتنَّ عليه بـذلـك ، وإنه الخير والفـضل والرحمة الذي يحقُّ الفـرح والسرور به ، فإن ذلك خير مما يجمع أهل الدنيـا ويتمتعون به . وإنما الذين ينظرون ويغـبطون هم المؤمنون الذين لم يغتروا بما اغتر به المعـرضـون فلهذا قال

﴿واخفض جناحَكَ لِلمُؤْمِنِينَ﴾ .

(سورة الحج) ● الآية: ٢٥ - ٢٦

■ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [سورة الحج : الآيات ٢٥ ـ ٢٦] فيه الذَّم للذين كفروا وصدُّوا عن المسجد الحرام عباده المؤمنين من وجهين :

● من جهة أنّهم اختصوا به ومنعوا غيرهم مع أنّ الناس فيه سواء .

● ومن جهة أنّ المؤمنين أحقُّ به منهم ، وهذه مرتبة ثانية ، فأباحوه للأبعدين ومنعوه الأقربين ، فإنّ الله أمرَ إبراهيم عليه السلام أن يُطَهِّرَهُ للطائفين والقائمين والرُّكع السجود، فهؤلاء أحق الخلق به لأنّهم حزب الله وأولياؤه وما كان المشركون أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون .

فائدة عظيمة

بل هي من أعظم الفوائد على الإطلاق

(سورة المؤمنون)
● الآية: ١

■ **الإيمان** هو أعلى الخصال وأشرف المراتب وأكمل المناقب ، بل لا يمكن أن تكون فضيلةً ولا ثواباً إلا بالإيمان وحقوقه ، ولذلك أثنى الله به على خيار خلقه والمصطفين من عباده فقال في كل من نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس وغيرهم من الأنبياء إنه من عبادنا المؤمنين ، فعلل ما حصل لهم من الخيرات وزوال الشرور بإيمانهم .

وقد علق الله الفلاح ودخول الجنان على الإيمان في قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية ١] ثم ذكر صفاتهم الناشئة عن إيمانهم ، ثم قال ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية ١٠ ـ ١١] وقال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس : آية ٦٢] وقال : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: الآيات ٦٢ ـ ٦٣] وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [سورة الحج : آية ٣٨] . ﴿وأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال : آية ١٩] وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على فضله وفضل أهله وأنّ الخير كله

فيه . فعلى العبد الذي يريد نجاة نفسه ويقصد كمالها وفلاحها أن يسعى غاية جهده ويبذل مقدوره في هذا الوصف وهو الإيمان علماً ومعرفةً وعملاً وحالاً ووصفاً وهو كما قال النبي ﷺ: «الإيمان بضْع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»(١) فوصفه بأقوال اللسان التي يحبها الله ورسوله وذكر أعلاها بالإحسان إلى عباد الله ، أيّ إحسان كان حتى إماطة الأذى عن طريقهم ، وبأعمال القلوب التي أصلها الحياء فإن من اتصف بالحياء من الله فقد انصبغ قلبه بمعرفة الله وحبه وخوفه ورجائه والتحبب إليه مهما أمكن . وحقيقة هذا أن الإيمان اسم جامع للشرائع الظاهرة والباطنة ، ولأقوال اللسان وأقوال القلب ، وأعمال القلوب ، وأعمال الجوارح وأنّ من قام بهذه الأمور كلها ونصح فيها وأحسنْ كان أكمل الناس إيماناً ، وأنّ من نقص منها معرفة وعلما وعملاً وحالاً نقص من إيمانه بقدر ذلك .

والناس في الإيمان درجات متفاوتة فأكملهم من وصل في علوم الإيمان إلى علم اليقين وحق اليقين ، وفي أعماله من وفَّى مرتبة الإحسان وعبد الله على وجه الحضور والمراقبة ، وفي أحوال الإيمان من كانت آدابه وأخلاقه صبغة لقلبه وحالا غير حائله بل إن عرض له ما يشوش عليه إيمانه بادر بالحال لإزالته ورجع إلى نعته ووصفه

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٣٥) (٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [سورة البقرة : آية ١٣٨] ولهذا قال النبي ﷺ «أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»(١) فإن لم يتغير إيمانه عند المعارضات كالشهوات والإرادات السيئة وإتيان الأمر مخالفاً لمراد النفس كان هذا المؤمن حقا ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِم وأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٥] .

● ولهذا كان من كمال الإيمان أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك(٢) .

● ولهذا أيضا كان إخراج محبوب النفس وهو المال لله تعالى دليلا على الإيمان كما قال النبي ﷺ «والصدقة برهان»(٣) .

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠ ، ٤٧٢) وأبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
وانظر «صحيح الجامع» للألباني (١٢٣٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٨) من طريق ابن عياش عن أسير بن عبدالرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن أبيه عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عقبة بن عامر صِلْ من قطعك وأعْطِ من حرمك واعف عمن ظلمك. . .» الحديث .
وهذا إسناد حسن رجاله ثقات غير فروة بن مجاهد فلم يوثقه غير ابن حبان في «ثقاته» كما بين ذلك الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٢٣٨) .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ولفظه : «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

● ولهذا أيضا كان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد .

● ومن علامات الإيمان ما ذكره الله بقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال : الآيات ٢ ـ ٤] فوصف المؤمنين بأنهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خضعت وخشعت وذلت لعظمته وانكسرت لكبريائه فتركت معاصيه وخافت عقابه واطمأنت بذكره ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطمَئِنُ القُلوب﴾ . وأنهم ﴿إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ أي ازدادوا بها علماً وبصيرة ورغبة في الخير ورهبة من الشر فنمى الإيمان في قلوبهم وكان إيمانا ناشئاً عن أعظم الأدلة والبيانات كما قالوا : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٩٣] وقالوا : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَأَمَنَّا﴾ [سورة آل عمران : آية ١٩٣] وكما قال مؤمنوا الجن : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ [سورة الجن : آية ١٣] فبحسب إيمان العبد يزدادُ إيمانه عند تلاوة كتاب الله والحكمة وهذا أعلى ما يكون من الإيمان ، فإنه إيمانٌ عن أكبر البارهين ، وإيمان على بصيرة ، لا كإيمان

ضعفاء المؤمنين الناشىء عن العادات والتقليد الذي هو عرضة للعوارض والعوائق ، وأما هذا الإيمان فهو إيمان لا تزعزعه الشبهات ولا تعارضه الخيالات بل يزداد مع صاحبه مدى الأوقات .

ووصفهم بتحقيق التوكل عليه ، فأعظم الناس إيماناً أعظمهم توكلاً على الله خصوصاً التوكل العالي الذي هو الاعتماد التام على الله في تحصيل محابه ومراضيه ودفع مساخطه ، ولهذا يجعل الله التوكل ملازما للإيمان في كثير من الآيات كقوله ﴿وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة : آية ٢٣] فالمؤمن حقاً تجده قائماً بما أمر الله به من الأسباب ، معتمدا على مسببها ومصرفها ، واثقاً بربه لا يقلقه تشوشها ولا يحزنه إتيانها على غير مراده ، قد هدى الله قلبه فاطمأن إلى ربه ورضي به وفوض إليه أمره ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن : آية ١١] قد تحقق قوله تعالى : ﴿أَلَم تعلمْ أَنَّ اللهَ يَعلَمُ مَا فِي السَماءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِن ذَلِكَ عَلَىٰ اللهَ يَسير﴾ [سورة الحج : آية ٧٠] ﴿لِكَي لاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُم وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم﴾ [سورة الحديد: آية ٢٣] قد رضي بكفاية ربه وسلَّم إليه الأمر ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق : آية ٣] .

ووصف المؤمنين حقا في هذه الآية بأنهم ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلاَةَ﴾ أي يقيمونها بقيام مكملاتها ظاهراً وباطناً ، ﴿ويُؤْتُونَ الزَكَاةَ﴾ فالصلاة فيها الإخلاص للمعبود والزكاة فيها الإحسان إلى عباد الله تعالى ، فبحسب إيمان العبد يكون قيامه بالصلاة والزكاة اللذين هما أُمّ العبادات وأجلّها وأعلاها وأعظمها نفعاً وثمرات .

وكذلك وصف الله المؤمنين في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُم عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَٱلَّذِينَ هُم لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَٱلَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُهُم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ ٱلعَادُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِم يُحَافِظُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلوَارِثُونَ﴾ [سورة المؤمنون : آية ١ ـ ١٠] فهذه الأوصاف العظيمة بها يكمل الإيمان ويتحقق ، وهو ميزان للخلق ، فالمؤمنون المفلحون أهل الفردوس هم الذين أقاموا الصلاة ظاهراً وباطناً بحقوقها وخشوعها الذي هو لُبّها ، وآتوا الزكاة المأمور بها ، وحفظوا ألسنتهم من الكلام السيء والفحش ومن اللغو والكلام الباطل ، ولهذا نبه بالأدنى الذي هو اللغو على ما هو أولى منه ؛ فإخبار الله إنهم عن اللغو [معرضون] الذي هو الكلام الذي لا منفعة فيه يدل على أنهم تركوا الكلام المحرم وحفظوا فروجهم عن الحرام لله تعالى . وتمام حفظها حفظ البصر وعدم قربان الفواحش ومقدماتها كما

قال تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النور : آية ٣٠] .

ووصفهم بمراعاة عهودهم وأماناتهم وهذا عام للعهود والأمانات التي بينهم وبين ربهم فإنهم قد عقدوا بينهم وبين ربهم عقد الطاعة والسمع والالتزام ولهذا ذَكَّرَهُم الله بهذا العهد في قوله : ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [سورة المائدة : آية ٧] والعهود والأمانات التي بينهم وبين الخلق أن لا ينقضوها وأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها ، ولهذا ذكر النبي ﷺ أن علامة الإيمان أن يكون العبد مؤتمنا على الدماء والأموال فقال : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»(١) وقال : «لا يؤمن من لا يأمن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٦٢) والنسائي (٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥) والحاكم (١/ ١٠) وابن حبان في «صحيحه» (١٨٠) من طرق عن الليث عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة به مرفوعاً .
وقال الحاكم : «قد اتفقا على إخراج طرف حديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ولم يخرجا هذه الزيادة وهي صحيحة على شرط مسلم» ، ووافقه الذهبي .
والجزء الأول منه أخرجه البخاري في «صحيحه» (١/ ٥٣) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما بلفظ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . . .» وأخرجه مسلم (٤١) عن حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما .
وفي الباب عن أنس وفضالة بن عبيد وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين .

جاره بوائقه»(١) ، ووصف المنافق بضد ذلك .

● ووصف المؤمنين بالإيمان بجميع الحق الذي نَزَّله الله والرسل الذين أرسلهم الله فقال : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٨٥] فالمؤمن لما كان وصفه أنه متطلب لرضوان الله متبع هداه أينما كان آمن بجميع الإلهية والرسل والتزم الدخول في طاعة الله وطاعة رسوله في كل شيء وسأل الله أن يغفر له ما قصّر فيه وأن يتجاوز عنه اذا قَدمَ عليه .

● ومن صفات المؤمنين أنهم يحكمون الله ورسوله في جميع أمورهم :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء : آية ٦٥] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (١٠/٤٤٣) من حديث أبي شريح رضي الله عنه، ولفظه : «والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل : ومن يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن من جاره بوائقه» .
وأخرجه مسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه : «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور : آية ٦٢] .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور : آية ٥١] .

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [سورة النساء : آية ٥٩] .

فالمؤمن أخلص دينه لله واجتهد في الاقتداء برسول الله ولم يقدم على قوله وحكمه قول غيره وحكمه ، بل إذا تبينت له سنة رسول الله لم يعدل عنها إلى غيرها وبحسب تحقيقه لهذين الأصلين يتحقق إيمانه ويقوى يقينه وعرفانه .

ومن صفات المؤمنين أنهم متحابون متوالون متراحمون متعاطفون كما قال تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة : آية ٧١] .

وقال : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة : آية ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلإِخوانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَل فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر : آية ١٠].

وكما قال النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١) .

وكلما ازداد الاتصال بقرابة أو جوار أو حق من الحقوق إزداد هذا المعنى وتأكد الإحسان إليه كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله اليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (١/٥٦ ـ ٥٧) ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١٠/٤٤٥) ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه .

وفي الباب عن أبي هريرة وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما .

وقال «من غشنا فليس منا»(١) وقال : «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٢) .

فالمؤمنون يدينون الله بالنصيحة له في عبوديته ، ولكتابه في تعلم وتَفَهُّمه والعمل به والدعوة لذلك ، ولرسوله في الاجتهاد في متابعته في أقواله وأفعاله وجميع أحواله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم بإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية ومعاونتهم على البر والتقوى وكفِّهم عن الإثم والعدوان بحسب القدرة كما قال تعالى في الآية السابقة في وصفهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

● ومن صفاتهم الحميدة ومناقبهم السديدة ما قاله النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «ثلاث من كن فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(٣) فجعل تحقيق الإيمان ووجد حلاوته بكون المحبة لله ولرسوله وتقديمها على سائر المحاب وجعل المحاب تبعا لها ؛ فيحب المرء لما قام به واتصف به من محاب الله وما مَنَّ الله به من الأخلاق الفاضلة

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٠١) ولفظه : «من حمل علينا السلام فليس منا ومنه غشنا فليس منا» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
وأخرجه برقم (١٠٢) من حديث أبي هريرة أيضا وفيه قصة بيع التمر وفي الباب عن ابن عمرو وأنس وأبي بردة بن دينار والحارث بن سويد رضي الله عنهم .
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٧٢) ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه .

فكلما قويت فيه ازدادت محبته له، فتكون محبة المؤمن دائرة مع محبة الله ، فيحب الله ورسوله ويحب من يحبه من الأعمال والأشخاص ، وتكون كراهته للكفر المضاد للإيمان أعظم من كراهته للنار التي سيقذف فيها ، ومثل ذلك قوله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً»(١) وقد تقدم قول هرقل: «وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان إذا وقر في القلب، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب» الحديث في صحيح البخاري(٢) .

وقال ﷺ : «يا معشر من آمن بلسانهِ ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»(٣) .

● ومن علاماتهم أن الله قد شرح صدورهم للإسلام فانقادوا لشرائعه طوعاً واختياراً ومحبة ، قد اطمأنت لذلك نفوسهم وصاروا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه .
(٢) حديث هرقل الطويل أخرجه البخاري (١/ ٣١ ـ ٣٣) ومسلم (١٢/ ١٠٣ ـ ١١١ نووي) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه .
(٣) صحيح أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ و٤٢٤) وأبو داود (٤٨٨٠) وانظر «صحيح الجامع» للألباني (٧٨٦١ ـ ٧٨٦٢) .

على بينة من أمرهم فهم يمشون بنورهم بين الناس ، قال تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [سورة الزمر : آية ٢٢] وقال : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٢٥] .

وقال ﷺ : «إذا دخل الإيمان في القلب اتسع وانشرح . قالوا : وهل لذلك علامة يارسول الله ؟ قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله»(١) .

ولما قال له حارثه(٢) : اصبحت مؤمناً حقا ، قال : «وما حقيقة إيمانكَ ؟» قال : عزفت النفس عن الدنيا فأسهرت ليلي واظمأت نهاري ، وكأني انظر إلى عرش ربي بارزاً ، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار في النار يتعاوَوْن فيها ، فقال : عبدٌ نَوَّرَ الله قلبه ، فالزم.

● فتحقيق الإيمان علامته سهولة العبادات ، والتلذذ بالمشقات في رضى رب الأرض والسموات ، والتصديق التام بالجزاء والعمل

(١) ضعيف أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٤) وعزاه إلى زهد ابن المبارك وعبدالرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي جعفر المدائني .
وأخرجه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٨٠ ـ ١٨١) من طريق أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن الحسن بن الفرات القزاز عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» قال رسول الله ﷺ وذكره مرسلاً .
والحديث ضعفه العلامة محمود محمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» انظر الآثار (١٣٨٥٢ ـ ١٣٨٥٧) وقال : «هذه أخبار معلولة ضعاف واهية» .
(٢) رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (ص ٣٧ ـ ٣٨ ـ رقم ١١٤) ولكنه قال فيه : أن رسول الله ﷺ لقي عوف بن مالك فقال وذكره ، ولم يذكر فيه حارثة بن مالك .
قال الشيخ الألباني معلقاً عليه : حديث ضعيف مرسل .

بمقتضى هذا اليقين . وكذلك قال الحسن(١) رضي الله عنه : ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال .

● ولهذا من أَجَلِّ علاماتهم أنّ الإيمان يصل بهم إلى حد اليقين والصديقين ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [سورة الحديد : آية ١٩] .

ولما ذكر النبي ﷺ ارتفاع غرف الجنة وعلوها العظيم ، قالوا يارسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟! فقال : «بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»(٢) ولهذا كانت الصديقية التي أثنى بها على خواص خلقه هي تكميل مراتب الإيمان علما وعملا ودعوة .

وكما أنّ من تحقيق الإيمان أنْ تكون الأعمال الصالحة مُصَدقَة له فمن تحقيقه أيضا أن يكون المؤمن متنزها عن الإثم والفسوق وأنواع المعاصي الداخله في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٢] وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٨] .

● ومن موجبات الإيمان : صرف الأموال في مصارفها الشرعية ووضعها مواضعها، وإقامة الحدود التي حد الله ورسوله، قال تعالى:

(١) البصري .
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٢٠) ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِٱللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [سورة الأنفال : آية ٤١] .

وقال تعالى : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [سورة النور : آية ٢] .

وقال : ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور : آية ٣] إلى غير ذلك من النصوص في الكتاب والسنة الدالة على وصف المؤمنين ، وأنّ العبد لا يستحق حقيقة الإيمان حتى يتصف بها . وفي الجملة فكل ما قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا واتركوا كذا كان امتثال ذلك الأمر واجتناب ذلك النهي من مقتضيات الإيمان وموجباته الذي لا يتم إلا بها ؛ فبهذا ونحوه تعرف حقيقة الإيمان الذي جعله الله عنوان السعادة ومادة الفلاح وسبب الفوز بكل مطلوب والنجاة من كل مرهوب . فنسأله تعالى إيماناً كاملاً يهدي به قلوبنا إلى معرفته ومحبته والإنابة إليه في كل أمر ، وألسنتنا إلى ذكره والثناء عليه ، وجوارحنا إلى طاعته ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [سورة يونس : آية ٩] .

● ومن صفاتهم الجليلة أن الله يهديهم إلى الحق في المواطن المشتبهات وللصواب في محال المتاهات التي لا تحتملها عقول كثير من الناس ، ويزدادون إيماناً ويقيناً في المواضع التي يزداد بها غيرهم ريباً وشكاً ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم وإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحج : الآيات ٥٢ ـ ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا

يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: آية ٣١] .

وقال تعالى : ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧] .

فما معهم من الإيمان واليقين يهديهم إلى الحقائق وأقْوَم الطرائق وأرْشَد الأمور وأصْلَح الأحوال ؛ ولهذا كان القرآن تذكرة ورحمة وبشرى للمؤمنين وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ وَٱلَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يؤْمِنُونَ﴾ [سورة المؤمنون : الآيات ٥٧ ـ ٥٨] . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ﴾ [سورة النحل : آية ٧٩] ومواضع أخرى.

فلما مشوا في نور إيمانهم في ظلمات الجهالات والشرور ، وتولاهم مولاهم ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٧] والله ولي المؤمنين ، مشوا في نورهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة الحديد : آية ١٢] .

ولما كانت تجارتهم أجل التجارات ، كان ربحها النعيم المقيم في غرف الجنان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الصف: الآيات ١٠ ـ ١١].

● ومن صفاتهم أن الله ينزل في قلوبهم السكينة والطمأنينة في مواضع الحرج والقلق قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح: آية ٤].

● الآية: ٨ ، ٣٣

■ قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون : آية ٨] أي يكونون لذلك رعاة متعاهدين مجتهدين في كل سبب تقوم به الأمانات والعهود وتكمل وتتم مبعدين عن كل سبب يناقض ذلك وكذلك قوله ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [سورة المعارج : آية ٣٣] .

● الآيتان: ٧٠ ـ ٧١

■ قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية ٧١]. دلَّت على أن مخالفتهم للرسول لأجل ما جاء به من الحق مخالف لأهوائهم ، وأنّ أهواءهم

فـاسـدة يمـتنع أنْ يرد الحق بما يوافـقـها لأنّ الحق هو صلاح السموات والأرض ومـن فـيـهـن ولـو وافـق الحـق أهواءهم لفـسـدت السـمـوات والأرض ومن فـيـهن ، فـدلّ هذا على أنّ الحق جـاء بما تشـهـد العقول الصـحـيـحـة والفطر المسـتقيمة بصحته واستقامته واعتداله وكماله ، وأنّ من خـالف الحق فلفسـاد في عـقله وانحـراف في فطرته ، وأنه اخـتار الضـار عـلى النـافع فلهـذا قال : ﴿بَـل أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِم فَهُـم عَـن ذِكْـرِهِـم مُعْـرِضُونَ﴾ .

(سورة النور)
● الآية: ٢١
■ لولا فـضل الله ورحمتـه لما شَـرَّع لعباده الأحكام ، ولولا فضله ورحمتـه لما فـصَّلهـا وبينهـا ، ولولا فضله ورحمته وأنّ الله تواب حكيم لما وضَّـحَ مـا يحتـاج إليه العباد ويَسَّـره غاية التيسير ، ولولا فضله ورحمته لمـا شرع أسـبـاب التـوبة والمغـفـرة ولما تاب على التـائبين ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّـهِ عَلَيْـكُـمْ وَرَحْـمَتُهُ مَا زَكَـىٰ مِنْكُمْ مِّـنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِـنَّ ٱللَّـهَ يُـزَكِّـي مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّـهُ سَمِيعٌ عَلِيـمٌ﴾ [سـورة النـور : آيـة ٢١] كما فصل ذلك في صدر سورة النور .

● الآية: ٢٢
■ الإتيـان باللـفظ العـام في قوله ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُـواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُـمْ وَٱلسَّـعَةِ أَن يُـؤْتُواْ أُوْلِـي ٱلْقُـرْبَـىٰ وَٱلْمَسَكِينَ وَٱلْـمُهَاجِرِينَ فِـي سَبِيلِ ٱللهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُـواْ أَلاَ تُـحِبُّونَ أَن يَغْفِـرَ ٱللَّـهُ لَكُـمْ وَٱللَّـهُ غَفُـورٌ رَّحِيـمٌ﴾ [سـورة النـور : آية ٢٢] مع أنهـا نـزلـت في شـأن أبي بكـر الصـديق رضي الله عنه حين تألى أن لا يُنفق على (مُسْطح) حين شـايع أهل الإفك ، مما يُـحـقق أنّ القرآن العظيم نزل هداية عامة وأنّه يتناول

من لم ينزل عليهم من الأُمة ومن نزلت وهم موجودون ومن كان له سبب بنزولها وغيره . وهكذا يقال في جميع الآيات التي نزلت في قضايا جزئية خاصة ولفظها يتناول القضايا الكلية العامة . وبهذا ونحوه تعرف أنّ معرفة أسباب نزول الآيات وإن كان نافعاً فغيره أنفع وأهم منه ، فَتَدَبُّر الألفاظ العامة والخاصة والتأمل في سياق الكلام والاهتمام بمعرفة مراد الله بكلامه وتنزيله على الأُمور كلها هو الأمر الأهم وهو المقصود ، وهو الذي تعبّد الله العباد به ، وهو الذي يحصُل به العلم والإيمان . ومما يدل على أنّ معرفة أسباب النزول ليس كمعرفة معنى ما أراد الله بكلامه ، أنه لا يتوقف معرفة معاني القرآن على معرفتها ولذلك تجد المفسرين يذكرون في أسباب النزول أقوالاً كثيرة مختلفة لا يهتدي الإنسان إلى معرفة الصحيح منها في الغالب ، وكذلك المعتنين بها تضعف معرفتهم بتفسير القرآن كما ينبغي .

ولست أقول أنّ الاعتناء بأسباب النزول ليس بنافع بل هو نافع وقد يتوقف فهم كمال المعنى عليه ، وإنما قولي أن الاعتناء بتدبر الألفاظ والمقاصد هو الأهم . ومع ذلك فإذا عرض للإنسان سبب نزول بعض الآيات ببعض الواقعات فلا يذهب وهمه إليه وحده ، بل يكون مرجعه إلى هذا الأصل الكبير، فيعرف أنّ القضية الجزئية التي نزلت الآية فيها بعض المعنى وفرد من أفراده . فالمعنى قاعدة كلية يدخل فيها أفراد كثيرة ومن جملة تلك الأفراد تلك الصورة. والله المستعان في جميع الأمور ، المرجو لتسهيل كل صعب والإعانة على كل شديد .

● الآية: ٢٧ ■ الإتيـان بقـوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ [سورة النور : آية ٢٧] أحسن من قوله تستأذنوا . لأن تستأنسوا تتضمن الاستئذان وزيادة التعليل ، وأن الحكمة التي شرع الله الاستئذان لأجلها هي حصول الاستئناس من عدم الوحشة ، ويدل ذلك أيضا على أنه يحصل الإذن والاستئذان بكل ما يدل عليه عادة وعُرفاً ، لكن قد يقال أن الاستئذان أيضاً يدخل فيه الاستئذان اللفظي والعُرفي ، والله أعلم .

● الآية: ٣٢ـ ٣٣ ■ قوله تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور : الآيات ٣٢ ، ٣٣] اشتملت هذه الآيات على :

١ ـ الأمر بالسعي بالأسباب المباحة التي ينال بها الرزق كالنكاح ونحوه .

٢ ـ وعلى أنّ من لم يحصل له سعة فليلزم تقوى الله تعالى والكف عن محارمه وينتظر فضل الله ورزقه وغناه .

٣ـ وعلى تحريم السعي بالأسباب المحرمة في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء والله أعلم .

(سورة الفرقان)
● الآية : ٥٨

■ لما كان التوكل به حياة الأعمال والأقوال وجميع الأحوال وبه كمالها ، قال تعالى : ﴿وتَوكَّلْ عَلَىٰ الحَيِّ الَّذِي لاَ يمَوُتُ﴾ [سورة الفرقان : آية ٥٨] فأمر بالتوكل والاعتماد على الحي كامل الحياة . فإذا حقق العبد التوكل على الحي الذي لا يموت أحيا الله له أموره كلها وكمَّلها وأتمَّها . وهذا من المناسبات الحسنة التي ينتفع العبد باستحضارها وثبوتها في قلبه ؛ فنسأل الله تعالى أن يرزقنا توكلا يحيي به قلوبنا وأقوالنا وأفعالنا وديننا ودنيانا ، ولا يكلنا إلى أنفسنا ، ولا إلى غيره طرفة عين ، ولا أقل من ذلك إنه جواد كريم .

(سورة الشعراء)
● الآية : ١٩٧

■ قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَكُنْ لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الشعراء : آية ١٩٧] تدل على أنّ أهل العلم بهم يُعرف الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، فهم الوسائل بين الله وبين عباده ، ولهذا استشهد الله بهم على التوحيد وعلى النبوة وعلى صحة القرآن كما في هذه الآية .

وعلى التوحيد في قوله : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَٱلْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٨] .

وعلى القرآن قوله : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٩] وتدل هذه الآيات على

أن العلم الحقيق هو ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وما فرق بين الحق والباطل ، وما سوى ذلك وإن كان صحيحاً فلا يستحق صاحبه أن يكون من أهل العلم الذين أمر الله بالرجوع إليهم ، وإنّما هو من أهل الذكر الذين قال الله فيهم : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل : آية ٤٣] .

حقيق بمن مَنَّ الله عليهم بشيء من العلم أن يكونوا أسرع الناس انقياداً للحقِّ وأبعد الناس عن الباطل ، ولهذا شدد اللَّهُ الذم بمخالفة هذين الأمرين على أهل العلم كقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ﴾ [سورة النساء: آية ٥١] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَابِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلاَلَةَ﴾ [سورة النساء : آية ٤٤] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة آل عمران : آية ٢٣] .

(سورة النمل)
● الآيتان :
١٠ ـ ١١

■ كُلما ازداد العبد قُربا من الله : بالإيمان به والتحقق بحقائقه ومعرفته بالله ومحبته والإنابة إليه وإخلاص العمل له حصل له الخير السرور واندفعت عنه أنواع الشرور وزالت عنه المخاوف وسهلت عليه صعاب الأمور . وهذا هو المعنى الذي أراد الله بقوله لموسى :

﴿لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ﴾ [سورة النمل : آية ١٠ ـ ١١] ويدل على هذا قوله ﴿لاَ يَخَافُ لَدَيَّ﴾ ولم يقل لا يخاف مني أي لا خوف ينال مَنْ مننتُ عليه بأكمل الحالات وأشرف المراتب وهي الرسالة، ولكل مؤمن نصيب من هذا بحسب ما قام به من اتباع المرسلين، ويدل أيضا أنّ المراد هذا المعنى العام الحسن الجليل لأن السياق والقرينة تدل عليه دلالة بينة فإن الخوف الصادر من موسى إنما وقع لّما رأى عصاه تهتز كأنها جان فخاف حينئذ من تلك الحية بحسب الطبيعة البشرية فأعلمه الله تعالى أنّ هذا محل القرب من الله لا يليق ولا يكون فيه خوف وإنما فيه الأمن التام ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلآمِنِينَ﴾ [سورة القصص: آية ٣١] ويدل على هذا المعنى ما دل عليه الاستثناء في قوله : ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فإن الاستثناء ميزان العموم والأصل أن يكون من جنس المستثنى منه فالمعنى: ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱلأَمْنَ وَهُم مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٨٢] فإن ظلموا أنفسهم ثم رجعوا إلى ربهم وبدلوا سيئآتهم حسنات رجعوا إلى مرتبتهم وأزال عنهم الغفور الرحيم موجب الظلم والإساءة والله أعلم.

● الآيات: ٣٨ ـ ٤٠

■ مهما تنقلت بالخلْقِ الأحوال وأُعطوا الأسباب العظيمة من التَّمكين في الأرض والاقتدار على مصالحها ، فلا بلغوا ولا يبلغون ما بلغه سليمان عليه السلام من الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر ،

وتجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ومن تسخير الشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد ، ومن تسهيل الأسباب التي تدرك فيها المطالب ، قال : ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [سورة النمل : الآيات ٣٨ ـ ٤٠] ومن تسخير الطير والوحوش وتَعَلُّم منطقها مما هو من أعظم الأدلة على أن هذا أمر سماوي ليس في قدر المخلوقات استطاعته .

● الآية: ٤٠ ■ ما يجري على الأخيار يحصل لهم فيه النفع خصوصاً ، ولغيرهم عموما وهذا من بركة الله لهم وبركته فيهم ومن نصحهم للخلق . ولهذا لما رأى سليمان عليه الصلاة والسلام عرش ملكة سبأ مستقرا عنده قد أُحضر في أسرع وقت قال : ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [سورة النمل : آية ٤٠] ألا ترى كيف اعترف بفضل الله ، وشكر الله على ذلك ، وأقر لله تعالى بالحكمة ، وأخبر عن كرم الله وسعة غناه ، وكان في ضمن كلامه هذا الحض للعباد على هذه الأمور . ولهذا أتى باللفظ العام ﴿وَمَن شَكَرَ﴾ ، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ .

وإذا تأملت جميع القضايا التي تجري على الأنبياء وأتباعهم وورثتهم وجدتها بهذه الحالة ينتفعون بها وينفع الله بها الخلق بسببهم . فنسأل الله تعالى أن يبارك لنا فيما أعطانا من نعم الدين والدنيا ، فإن بركة الله لا نهاية لها وجودُه لا حدّ له ، والقليل إذا بارك الله فيه صار كثيراً ، ولا قليل في نعم ربنا ، فله الحمد والشكر بجميع أنواعها حمداً على ما له من أنواع الكمالات ، وشكراً على ما أسدى إلى الخلق من الإفضالات والهبات ، بالقلب واللسان والجوارح ، كثيراً طيباً مباركاً فيه .

(سورة الروم) ● الآية : ٣٣

■ قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم : آية ٣٣] ونحوها من الآيات التي فيها هذا المعنى .

فإذا كان هذا ثابتاً في أصل الدين ، أنَّ الناس أكثرهم إذا مسَّهم الضُّر أنابوا إلى الله لعلمهم أنّه كاشف الكربات وحده لا شريك له، وللضرورة التي تضطرهم إليه ، ثم إذا زالت الضرورة عادوا إلى شركهم ، فكذلك الأمر ثابت في فروع الدين وفي سائر الأمور تجد الناس مستجيبين لداعي الغفلة مقيمين على ما يكرهه الله غافلين عن ذكر ربهم ودعائهم ، فإذا مستهم نائبة من نوائب المحن أقبلوا إلى ربهم متضرعين ، ولكشف ما بهم داعين . فاقبلوا وأنابوا ثم إذا أزال الله شدتهم وكشف كربتهم عادوا إلى غفلتهم وغيهم يعمهون ، ونسوا

مـا كـانوا يدعـونه إليه من قبل ، كأنه ما كان . وهذه الحال من أعظم الانحـرافـات وأشدِّ البليَّـات التي يبتلى بها العبد . لا يعرف ربه إلا في الضرورة ، وهذه شـعـبـة من شـعب الشرك ، ومن كـان فيه هذا الأمر ففيه شبه ظاهر من حال المشركين .

وإنما المـؤمـن الـكـامـل الـذي يـعـرف ربـه في السَّـرَّاء والضَّـرَّاء والعُسر واليُسر فـهـذا هو العـبـد على الحـقـيقة ، وهذا الذي له العاقبة الحـسنة ، والسعادة الدائمة ، وهذا الذي يحصل له النجاة من الكروب إذا وقع فـيـها ، قال تعالى بعدما ذكر عن ذا النون أنه بسبب عبادته في الرخاء عرفه الله في الشدة ﴿فَلَوْلاَ أَنَّـهُ كَانَ مِـنَ ٱلـمُسَبِّـحِينَ لَلَبِثَ فِـي بَطْنِهِ إِلَـىٰ يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ﴾ [سـورة الصافات : آية ١٤٤] .

وقـــال : ﴿وَنَـجَّيْـنَاهُ مِــنَ ٱلْغَــمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـنجِـي الـمُؤْمِنِـينَ﴾ [سورة الأنبياء : آية ٨٨] .

وقال النبي ﷺ «تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»(١) .

وقـريـب مـن هـذا المـعنى مـا ذكـر الله من حـال المترفين الرَّادين لدعـوة المرسلين حـيث قـال ﴿وكذلك مَا أَرْسَلنَا مِن قَبْلِكَ فِـي قَـرْيَـةٍ مِّــن نَّذِيـرٍ إِلاَّ قَـالَ مُـتْـرَفُوهَا إِنَّـا وَجَـدْنَا آبَاءنَا عَلَـىٰ أُمَّــةٍ وَإِنَّـا عَلَـىٰ آثَارِهِـم مُّقْتَدُونَ﴾ [سـورة الزخـرف : آية ٢٣] .

(١) حـديث صحيح أخرجه أحمـد والترمـذي وابـن أبي عاصم في «السنة» برقم (٣١٦ ، ٣١٧) وانظر تعليق الشيخ الألباني عليه .

فأخبر أنّ السبب في ردِّهم لدعوتهم كونهم مترفين ، فدل على أنّ الترف هو الإنغماس في نعيم الدنيا ولذاتها ، والانكباب عليها ، والتنوع في مآكلها ومشاربها ومراكبها ، والإسراف في ذلك يُحدِثُ في الإنسان خُلُقَاً خبيثاً يمنعه من سرعة الانقياد لأمر الله والاستجابة لداعي الله .

وكما أنه ثابت واقع في أصل الدين فإنه واقع أيضا في شرائعه وفروعه ، فكم منع الترف من عبادات ، وكم فوت من قربات ، وكم كان سببا للوقوع في المحرمات ، فإن الترف وكثرة الأرفاه تصير الإنسان شبيها بالأنعام التي ليس لها هم إلا التمتع في الأكل والشرب، وكذلك يرهل البدن ويكسله ويثقله عن الطاعات ، ويُشْغِل القلب في مرادات النفس . ومراداتها كم حملت صاحبها على جمع الأموال من غير حلها ، وحملت النفس على الأشر والبطر والرياء والفخر والخيلاء والاستكثار من قرناء السوء .

وفي الجملة في الترف والسرف من المضار أضعاف أضعاف ما ذكرنا . فعلى العبد أن يكون مقتصداً في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ، وغير ذلك من حوائجه التي لابد منها ؛ فلا يعلق قلبه إلا بما يحتاجه منها ، ولا يستعمل زيادة عن حاجته ويعود نفسه على ذلك لتتمرن النفس على الأخلاق الجميلة ، ويسلم من كثير من الآفات والشرور المترتبة على الترف . ولهذا لما فتحت الدنيا على المسلمين أيام عمر رضي الله عنه وكثرت الأموال كان رضي الله عنه ينهى المسلمين

أشـد النهي عن الترف ويأمـرهـم بالخشـونة والاقـتصاد الذي به صلاح المعاش والمعاد ، وبالله التوفيق .

● الآية: ٥٠ ■ قـولـه تعـالى : ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سـورة الروم : آية ٥٠] .

فإذا كـانت الأرض الخـاشـعـة الخـاليـة من كل نبت إذا أنزل الله عليـهـا المطر اهتـزت وربت وأنبـتت من كل زوج بهيج ، واختلط نبتها وكـثـرت أصنافه ومنافعه ، جعله الله تعالى من أعظم الأدلة الدالة على سـعـة رحمتـه وكمال قـدرته وأنه سـيـحـيي الموتى للجـزاء ؛ فـالدليل في القلب الخـالي من العلم والخير حين ينزل الله عليـه غـيث الوحي فيهتز بـالـنبـات ويـنبت من كل زوج بهيج من العلوم المخـتلفـة النافـعـة ، والمـعـارف الـواسـعـة ، والخـير الـكـثـير ، والبر الواسع . والإحـسـان العـزيز، والمحـبـة لله ورسـوله ، وإخـلاص الأعمال الظاهرة والباطنة لله وحـده لا شريـك لـه ، والخـوف والـرجـاء والـتضرع والخـشـوع لله ، وأنواع العـبـادات ، وأصناف التـقـربات ، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمـة المـسلمين وعـامـتـهـم . وغير ذلك من العلوم والأعمال الظاهرة والبـاطنة ، والفـتـوحـات الربانيـة مما لاعين رأت ولا أُذن سـمـعت ولا خـطـر عـلى قـلـب بشر ، أعظم من الأرض بكثير على سـعـة رحمة الله وواسـع جـوده وتـنـوع هـبـاته وكمال اقـتـداره وعـزته . وأنه يحيي الموتى للجـزاء وأنّ عنده في الدار الأخـرى من الخيرات والفـضـل مـا لا يعلمه أحد غيره .

وقد نبه الله على أنّ حياة القلوب بالوحي بمنزلة حياة الأرض بالغيث وأن القلوب الخالية من الخير بمنزلة الأرض الخبيثة فقال تعالى ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَٱلَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة الأعراف : آية ٥٨] .

(سورة الأحزاب)
● الآية : ٤

■ قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤] .

هذه الآية جمعت كل علم صحيح ، وذلك أنّ العلم : إما مسائل نافعة ، وإما دلائل مصيبة .

فأنفع المسائل : المشتملة على الحق وهو الصدق والعدل والقسط والاستقامة ظاهراً وباطناً .

أهدى الدلائل وأرشدها : ما هدى السبيل الموصل إلى المطالب العالية والمراتب السامية .

فالكتاب والسنة كفيلان بهذين الأمرين على أكمل الوجوه وأتمها وأبينها وما سوى ذلك فهو باطل وضلال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضّلاَلُ﴾ [سورة يونس : آية ٣٢] وما بعد الهداية إلى السبيل المستقيم إلا الهداية إلى سبيل الجحيم ﴿وَلاَ يأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [سورة الفرقان : آية ٣٣] .

(سورة الصافات)
● الآية: ٩٩

■ الإخلاص والالتجاء إلى الله على الدوام والرجوع إليه في كل أمر هو السبب الأعظم في حصول الهداية إلى الصراط المستقيم علماً وعملاً ؛ قال الله تعالى عن الخليل عليه السلام : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الصافات : آية ٩٩] ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت : آية ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [سورة ص : آية ٣٥] ، وقد استجاب الله له هذا الدعاء ووقع الأمر .

● الآية: ١٠٣

■ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [سورة الصافات: آية ١٠٣] .

لما كان قوله أسلما توطينا لنفسه على أمر الله وعزماً مقروناً بالإخلاص والامتثال ، والعزم ربما تخلف عنه الفعل ، ذكر الفعل بقوله : ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينَ﴾ فاجتمع العزم والفعل ، ولكن تخلف أثر الفعل وهو وقوع الذبح فذكر تعالى أنه أبدله بذبح عظيم فداء له .

(سورة ص)
● الآية: ٢٦

■ **فصل** : إذا وفق الحاكم أن يحكم بالحق والعلم لا بالجهل والباطل ، وبالعدل وحُسن القصد لا بالظلم واتباع الهوى ، فقد سلك سبيل الأنبياء ، قال تعالى لداود ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

سَبِيلِ اللهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص : آية ٢٦] .

(سورة الزمر) ● الآية: ٦١ و ٧٣

■ قوله تعالى : ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الزمر : آية ٦١] . فوعد الله المتقين بنفي العذاب عنهم ظاهراً وباطناً ، كما أثبَتَ لهم في آخر السورة النعيم ظاهراً وباطناً من قوله : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر : آية ٧٣] .

(سورة غافر) ● الآية: ٦

■ **إن قُلتَ** : إن الله أخبر في غير موضع أنه لا يهدي القوم الظالمين ، ولا يهدي القوم الفاسقين والقوم الكافرين والمجرمين ونحوهم والواقع أنّه هدى كثير من الظالمين والفاسقين والقوم الكافرين والمجرمين مع أنّ قوله صدق وحق لا يخالفه الواقع أبداً .

فالجواب : إن الذي أخبر أنه لا يهديهم هم الذين حقت عليهم الشقوة وكلمة العذاب ، فإنها إذا حقت وتحققت وثبتت ووجبت فإن هذا لا يتغير ولا يتبدل ، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾ [سورة غافر : آية ٦] . ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس : آية ٣٣] ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ

لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [سورة يونس : الآيات ٩٦ ـ ٩٧] وغير ذلك من الآيات الدالات على هذا المعنى وهؤلاء هم الذين اقتضت حكمة الله تعالى إنه لا يهديهم لكونهم لا يصلحون للهداية ولا تليق بهم ﴿فَلَوْ عَلِمَ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢٣] وهم الذين مردوا على أسباب الشقاء ورضوها واختاروها على الهدى .

وأما من سبقت لهم من الله الحسنى فإنّ الله تعالى يهديهم ولو جرى منهم ما جرى فإنه تعالى هدى كثيراً من أئمة الكفر المحاربين له ولرسوله وكتبه فصاروا من المهتدين والله عليم حكيم .

فالذين أخبر عنهم أنه لا يهديهم هم الذين حقّت عليهم الشقوة، والذين هداهم هم الذين سبقت لهم منه الحسنى ، فصار النفي واقعاً على شيء ، ووقوع الهداية واقع على شيء آخر فلم يحصل تناقض ولله الحمد .

■ **فائدة** : وهي في الحقيقة تابعة للإيراد السابق في إخبار الله أنّه لا يهدي الظالمين والكافرين ونحوهم مع أنّه وقع منه هداية لمن اتصف بذلك الوصف ، وجوابه السابق وهو أنَّ النفي واقع على من حقّ عليه أنّه مجرم من أهل النار ، وأنّ الهداية الحاصلة لمن لم يكن كذلك . ثم تبين لي في يومي هذا وتوضح ، معنى مازال مشكلاً عليّ

حتى وضّحه الله وله الحمد ، وهو حلُّ هذه الآية الكريمة : ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة النمل : آية ٨٢] . وإنها تقرير للآية التي قبلها فإن الله تعالى قال لرسوله مسليا بعدم إيمان المعاندين وأنَّ هذا لا يضرُ الحقَّ شيئاً ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة النمل : ٨٠ ـ ٨١] فلما بين له أنَّ اجتهاده ﷺ في هداية الضالين إنما ينتفع به ويسمعه سَمْعَ قبول وانقياد ﴿مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ ، وأما الموتى الذين ليس في قلوبهم أدنى حياة لطلب الحق فكما أنّ صوتك لا تُسمع به الأموات موتاً حِسِّيّاً ، فصوتك أيضا في الدعوة والإرشاد لا تسمع به موتى القلوب ولا الصُمَّ المُعرِضين المُدبِرين عن الحق ، ولا الذين صار العمى لهم وصفا والغي لهم نعتا فهؤلاء هم الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ، وهؤلاء هم الذين حقّ عليهم القول ، وإذا حق القول على الأشقياء لم تنفعهم الآيات المسموعة والتذكير ، كما لا تنفعهم الآيات التي يصير الإيمان عندها اضطرارياً وهي الآيات الكبار التي تكون مقدمة الساعة ، فإنها إذا طلعت الشمس من مغربها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [سورة الأنعام : آية ١٥٨] حينئذ حق القول على الأشقياء أنهم لا

يزالون على شقائهم ، فَيُخرج لهم دابّة من الأرض تُكَلِّمُهُم وتبين المسلم من الكافر فالقول إذاً حُق لا يتغير ولا يتبدل ويحصل اليأس من إيمان الكافرين ولو كانت الآيات أكبر الآيات فالآية تقرر ما قبلها وتدل على العلة الجامعة وهي أنَّ من حَقَّ عليه القول لو جاءته كل آيةٍ لم يؤمن حتى يرى العذاب الأليم والله أعلم .

(سورة الأحقاف) ● الآية: ٣٥ ■ **فصل** : العزم الذي مدح الله به خيار خلقه كقوله ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف : آية ٣٥] . هو قوة الإرادة وجزمها على الإستمرار على أمر الله ، والهمة التي لا تني ولا تفتر في طلب رضوان الله ، وحسن معاملته ، وتوطين النفس على عدم التقصير في شيء من حقوق الله ؛ ولذلك لام الله آدم عليه السلام بعدم استمراره على الأمر ، وحصول الاغترار منه لعدوه بأكل الشجرة التي عهد الله له بالامتناع من أكلها ، فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [سورة طه: آية ١١٥] فحصول الفتور وفلتات التقصير مناف كمال العزم ؛ ولهذا لم يكن كمال هذا الوصف إلا لمن بلغوا الدرجة العالية في الفضائل .

والنقص إنما يصيب العبد من أحد أمرين :

١ ـ إما من عدم عزمه على الرشد الذي هو الخير .

٢ ـ وإما من عدم ثباته واستمراره على عزمه .

ولهذا كان دعاء النبي ﷺ «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد»(١) من أنفع الأدعية وأجمعها للخيرات ، فمن أعانه الله على نية الرشد والعزيمة عليها ، والثبات والاستمرار ، فقد حصل له أكبر أسباب السعادة .

والناس في هذا المقام درجات بحسب قيامهم بهذين الأمرين .

وحسْب ذي الفضل فضلا أن تكون العزيمة على الرشد وصفه وآثارها من العلم والعمل نعته ، وإذا حصل له نوع فتور وخلل في هذا المأمور ، رجع إلى أصله وأخبته ، وداوى هذا الداء بالتذكر والاستغفار . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف : آية ٢٠١] أي تذكروا الخلل الذي دخل عليهم من الشيطان ، والنقص الذي حصل لهم به الخسران ، فأبصروا ذلك ، فبادروا إلى سده ، والعود إلى ما عوَّدهم وليُّهم من لزوم الصراط المستقيم . نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه آمين .

(سورة محمد) ● الآية: ٧

■ **الإخلاص لله تعالى** أعظم الأسباب لعون الله للعبد على جميع أموره ، ولثبات قلبه وعدم انزعاجه عند المقلقات والشدائد . قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان في «صحيحه» برقم (٩٣٥) بسند ضعيف وأنظر تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط عليه . وأنظر «الكلم الطيب» (١٠٤) وتعليق الشيخ الألباني عليه .

أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد : آية ٧] أي إذا كان قصدكم في جهاد الأعداء نصر الله وأن تكون كلمته هي العليا ، نصركم الله على أعدائكم وثبّت أقدامكم في مواطن اللقاء . فالنصر سبب خارجي وتثبيت الأقدام سبب داخلي وبهذين الأمرين يتم الأمر .

● الآية: ١٧ ■ كمال العبد في تمام النعمتين : نعمة الدين ونعمة الدنيا ، فيهما تحصل السعادة العاجلة والآجلة ؛ فنعمة الدين : **بالعلم الهادي** إلى الصراط المستقيم ، **وبتقوى الله** التي هي امتثال أمره واجتناب نهيه .

ونعمة الدنيا : بأن **ينقطع العبد عن رجاء المخلوقين** والافتقار إليهم ، ويرزقه الله **العفة عن القبائح** ثم يغنيه بالحياة الطيبة والخير الذي يكون عوناً له على عبادة ربه . قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد : آية ١٧] . وقال تعالى : ﴿وليستعفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [سورة النور : آية ٣٣] وقد تضمن هذه الأمور الأربعة الدعاء الذي ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»(١) .

(سورة المجادلة) ● الآية: ١١ ■ قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُواْ فَانْشُزُواْ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ

(١) أخرجه مسلم (١٧/ ٤٠ـ ٤١ نووي) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

دَرَجَاتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١] .

فيها فضيلة التأدب بالآداب الشرعية ورفعتها عند الله ولو ظنها الإنسان منقصة ، فليس النقص غير الإخلال بآداب الله لعباده .

ومن الفوائد : ايقاع الظاهر موقع المضمر في هذه الآية حيث قال : ﴿يَرفع اللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُم وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ العِلمَ دَرَجَاتٍ﴾ ولم يقل يرفعكم ليدلَّ ذلك على فضيلة الإيمان والعلم عموماً ، وأنّ بهما تحصل الرفعة في الدنيا والآخرة ، ويدل على أنّ من ثمرات العلم والإيمان سرعة الانقياد لأمر الله ، وأنّ هذه الآداب ونحوها إنّما تنفع صاحبها ويحصل له بها الثواب إذا كانت صادرة عن العلم والإيمان ، وهو أن تكون خالصة لوجه الله لا لغير ذلك من المقاصد .

(سورة الحشر)
● الآية : ٢

■ قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر : آية ٢] . ما أضعف اليقين في قلوب كثير من المؤمنين تجدهم الآن قد استولى عليهم اليأس وظنوا أن أمر الإفرنج الغربيين الآن سيظهر وسيدوم وأنَّ أهل الإيمان لا قيام لهم وأنهم لابُدَّ مغلوبون وأعداؤهم لابد غالبون ، وسبب هذا نظرهم إلى الأسباب المُدْرَكة بالحس

وقَصَرُوا النظر عليها ولم يقع في قلوبهم أنَّ وراء الأسباب المُشَاهَدَة أسبابا غيبية أقوى منها وأُموراً إلهيَّة لا تُعارض ولا تُمانع وآفات تطري وقوات تزول وضعفا يزول وأُموراً لا تدخل تحت الحساب . فهؤلاء أهل الكتاب ذوو القوة والشوكة قد غَرَّتهم أنفسهم وظنوا أنَّ حصونهم مانعتهُم وأنهم يمتنعون فيها ، ولم يخطر في قلوب المؤمنين خروجهم منها حتى جاءهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون واستولى عليهم الضعف والخراب من حيث لا يشعرون وللكافرين أمثالها . فالمؤمن حقا هو الذي ينظر إلى قَدَرِ الله وقضائه ومَالَهُ من العزة والقدرة ويعلم أنَّ هذا لا تعارضه الأسباب وإنْ عَظُمَت ، وأنَّ نُمُو الأسباب ونتاجها إذا لم يعُارِضها القدر ، فإذا جاء القدر اضمحل عذره كل شيء ، ولكنَّ الأسباب محل حكمة الله وأمره ، فأَمَرَ المؤمنين بالاستعداد لعدوهم ظاهراً وباطناً ، فإذا فعلوا المأمور ساعدهم المقدور .

● الآية : ٩ ■ قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة الحشر : آية ٩] لا يمكن أن تكون القبلية في قوله ﴿مِنْ قَبْلِهِم﴾ راجعة إلى الدار دون الإيمان لأنَّ اللفظ لا يساعد على هذا لأنّ الوصف بالجار والمجرور ولا يصلح إلا أن يعود على المعطوف والمعطوف عليه ، فإلى أين يعود وقد علم وتقرر أنَّ المهاجرين قد تقدم إيمان كثير منهم على الأنصار ؟

فالجواب : أنّ هـذا عـائد إلى الـدار والإيمان على اللفظ المصرح به وهو التبـوء والاستـقرار ، ومعنى هذا أن أهل الإيمان لهم حال تبوء وتمكين يتـمكنون فـيه من إقامة دينهم وقيامهم في أنفسهم وفي غيرهم ، ولهـم حـال وجـود لـلإيمان منهم دون تمكين ، فلم يحصل التـمكين إلا بعـدمـا هاجروا إلى المدينة وصار لهم دار إسلام وأما قبل ذلك فهم وإن كـانوا مـؤمنين لكنهم في حالة ذلة وقلة محكومون مقهورون خائفون على أنفسهم ، وبهذا يتبين المعنى .

(سورة الصف) ● الآية : ١٠

■ **التجارة نوعان :**

احدهما : تجـارة ربحـهـا الجـنـات وأنـواع الـكرامـات وصنوف اللذات وهي تجـارة الإيمان والجـهاد في سبيل الله قال تعالى : ﴿يَا أَيُّـهَا الَّذِيـنَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّـكُـمْ عَلَـىٰ تِـجَارَةٍ تُنْجِيكُـم مِّـنْ عَذَابٍ أَلِيـمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِـهِ وَتُـجَاهِدُونَ فِـي سَبِيـلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِكُـمْ وَأَنفُسِكُـمْ ذَلِكُم خَـيْـرٌ لَّـكُـمْ إِن كُنْـتُـمْ تَعْلَـمُونَ﴾ [سورة الصف : آية ١٠] .

فـهـؤلاء هم الرابحـون حـقـا وهم الذين تحـقـقوا بالإيمان ظاهراً وباطناً فـاجـتـهـدوا في علوم الإيمان ومـعـارف الإيمان في أعماله البـاطنة كـمـحـبة الله ورسوله وخشية الله وخوفه ورجائه ، وفي أعماله الظاهرة : كـالأعمال البـدنيـة والماليـة والمركـبـة منهما ، وجاهدوا أنفسهم على هذا وجـاهدوا أعـداء الله بالحجة والبرهان والسيف والسنان .

وثانيهما : تجارة ربحها الخسران وأصناف الحسرات وهي كل تجارة مُشغِلة عن طاعة الله ومُفَوتة لتلك التجارة الرابحة ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة الجمعة : آية ١١] وكم في القرآن من مدح تلك التجارة والحث عليها والثناء على أهلها ومن ذم التجارة الأخرى والزجر عنها والذم لأهلها.

وأهل التجارة الرابحة اذا اشتغلوا بتجارة المعاش لم تكن قاطعة لهم عن تجارتهم بل ربما كانت عونا لهم عليها إذا أحسنوا فيها النية وسلموا من المكاسب الرَّدِيَّة وأخذوا منها مقدار الحاجة ، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [سورة النور : آية ٣٧] فلم يقل أنهم لاَ يَتَّجِرون ولا يبيعون بل أخبر أنهم لو فعلوا ذلك لم يشغلهم عن المقصود وهو ذكر الله وأُمهات العبادات .

وعطف البيع على التجارة وإن كان البيع داخلا فيها لأنه أعظم الأسباب التي تحصل بها التجارة وأنواع المكاسب وأبركها والله أعلم .

● الآية: ١٤ ■ كل من قام بحق أو دعا إليه أو سعى في إنكار منكر وإبطال باطل وجبت معاونته ومساعدته على ذلك وهو داخل في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ [سورة الصف : آية ١٤] .

ودلت هذه الآية ونحوها باللزوم على الأمر بالسعي بالأسباب التي تتم بها نصرة الحق كالتعلم والتعليم للعلوم النافعة ونحوها .

(سورة المعارج)
● الآية: ١١

■ قوله تعالى : ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [سورة المعارج : آية ١١] ، فيه أنّ غير المجرم لا يودُّ ذلك لأنه قد افتدى في الدنيا من عذاب يومئذ بالتقوى والإيمان ، وإنما هو في هذا اليوم لا يحزنه الفزع الأكبر ويأمل اجتماعه بمن صلح من آبائه وأبنائه وأحبابه في جنات النعيم .

(سورة المدثر)
● الآية: ١و٢

■ قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [سورة المدثر : الآيات ١ ـ ٢] نبه الله تعالى فيها على حال رسوله وكماله، وإتمام نعمة الله عليه ، وكم بين ابتداء أمره وانزعاجه من الوحي وتدثره من شدة ما لقي وبين آخر أمره حين أتم الله أموره كلها ، ولهذا أمره بتكميل نفسه وتكميل غيره وأرشده إلى ما ينال به ذلك وهو القيام التام على وجه النشاط والتعظيم لربه وتكبيره في باطنه وتطهير أعماله وثيابه الظاهرة وترك كل شر ودنس واستعمال روح الأعمال وهو الاخلاص في كل شيء حتى في العطاء فلهذا قال ﴿وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [سورة المدثر : آية ٦] .

ثم أرشده إلى ما يعينه على كل الأمور وهو الصبر لوجه الله فقال ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر : آية ٧] ، ثم تكفل له بحفظه من الأعداء وحفظ ما جاء به بتوعدهم بالعذاب خصوصا

لأكبرهم عنادا وأعظمهم عداوة وهذا تمام النعمة .

● الآية: ٣٨ ■ **فصل** قوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر : آية ٣٨] .

أي كل نفس مرتهنة محبوسة ومُوثَقة بكسبها السيء وحبسها في العذاب السيء ، وذلك لأنَّ الجزاء من جنس العمل ، فكما حَبَس المجرمون ما لديهم لله ولخلقه من الحقوق اللازمة فلم يؤدوا الصلاة التي هي أكبر العبادات المتضمنة للإخلاص للمعبود ، ولا أطعموا المساكين من الحق الذي أوجبه الله لهم في أموالهم ، ولا حَبَسوا نفوسهم على ما شَرَع وقيدوها بقيود الدين بل أطلقوها فيما شاءوا من المرادات الفاسدة فخاضوا بالباطل مع الخائضين ، ولا صَدَّقوا ربهم ورسله مع تواتر الآيات بل كانوا يكذِّبون بيوم الدين فلذلك حُبسوا في هذا المحبس الفظيع وأُدخلوا في سَقَر .

ولما كان أصحاب اليمين قد حبسوا نفوسهم في الدنيا على شرع الله تصديقاً وعملا ، وأطلقوا ألسنتهم وجوارحهم في طاعة الله ومرضاته أطلق الله أسَارهم وفكَّ رهنهم فلم يكونوا في ذلك اليوم مرتهنين بل كانوا مطلقين فيما اشتهت أنفسهم ولذّت عيونهم .

فعمل العبد في الدنيا إما أن يكون سبباً لارتهانه أو سببا لخلاصه بل الأصل أن الإنسان في حبس وأن عمله سيُرتهن لأنه ظلوم وجهول طبعاً إلا من خلصه الله من هذا ومنَّ عليه بالصبر وعمل الصالحات

فلهذا جعل الارتهان عاما واستثنى منه أصحاب اليمين فقال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ اليَمِينِ﴾ [سورة المدثر : الآيات ٣٨ ـ ٣٩] .

(سورة الأعلى)
● الآية: ١٤ ـ ١٥

■ شرع الله الدين والعبادات والأوامر والنواهي لإقامة ذكره ولهذا يذكر أن العبادات ناشئة عن ذكره ، كما قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [سورة الأعلى : الآيات ١٤ ـ ١٥] فجعل الصلاة ناشئة عن الذكر ومسببة عنه ، كما جعل الصلاة لإقامة ذكره ، فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى﴾ [سورة طه: آية ١٤] وقال في ترك الذنوب والاستغفار منها ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٣٥] فجعل الاستغفار ناشئاً عن الذكر . فدل ذلك على أن الذكر لله هو الأصل الجامع الذي يتصف به المؤمن الكامل ،فيصير الذكر صفة لقلبه فيفعل لذلك المأمورات ويترك المنهيات ناشيء عن تعظيم الله تعالى وذكره وهو دليل على ذلك وهو أعظم المقصودات في العبادات قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٥] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سورة هود : آية ١١٤] وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران : الآيات ١٩٠ ـ ١٩١].

فكل من كان في عبادة فهو في ذكر الله ، ومن ترك منهياً لله فهو في ذكر الله . وهذا هو المعنى الذي خلق الله الخلق لأجله ، وشرع الشرائع لأجله ، وجعل النعم الظاهرة والباطنة مقصودة لأجله ، ومعينة عليه . فنسأله تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ويجعلنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات آمين.

(سورة الكافرون) ■ من المناسبات الحسنة أنَّ **أكبر البراءة وهو : براءة الله ورسوله من المشركين** أمر الله بإعلانها في يوم الحج الأكبر ، فالذنوب والمعاصي جميعها تشترك في البراءة من الله ورسوله وعدم الموالاة ، ولكن البراءة التامة التي ليس معها من الموالاة مثقال ذرة إنما هي من كلِ مشرك وكافر بالله العظيم .

وتمام موالاة المؤمن بالله ورسوله الموافقة التامة على هذه البراءة، ولهذا كانت سورة ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا ٱلكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون] متضمنة لهذا البراءة مستلزمة للإخلاص لله تعالى في جميع الدين .

فصــل

[مبحث جليل في الإيمان بالغيب]

سؤال : ما هو الغيب(1) الذي أثنى الله على المؤمنين به وأخبر عن سعادتهم وفلاحهم واستحقاقهم النعيم المقيم ، فلعل العبد يعرفه ويتعرف محاله ومواضعه فيجتهد في تحقيق الإيمان ليكون من المفلحين ، فإن أكثر الناس بل أكثر المؤمنين ليس عندهم في هذا الباب إلا أُمور مجملة وألفاظ غير محققة ، وهذا نفعه دون نفع التنويع والتفصيل والتوضيح والتبيين بكثير كثير فأفتونا بحسب قدرتكم واستطاعتكم فإنا لا نطلب منكم شططا ، وإلا فقد تقرر أنَّ هذه المسألة لا يتمكن خواص الخلق من إيفاء حقِّها وبيان أمرها فأفتونا مأجورين ؟

الجواب : وبالله أستعين وإليه أضرع في الهداية فيها وفي غيرها : الغيب هو خلاف الشهادة ؛ **ولهذا تقسم الأشياء قسمين : غيبية ومحسوسة** . فالأمور المحسوسة المشاهدة لم يعلق الشارع عليها حكمًا من أحكام الإيمان الذي يفرق به بين أهل السعادة وغيرهم وذلك كالسماء والأرض وما فيها من المخلوقات المشاهدة والطبائع

(1) في قوله تعالى ﴿ذلكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيه هُدى لِلمُتقين * الذين يُؤمِنُونَ بِالغَيْبِ ويُقيمُونَ الصَّلاة ومما رَزَقْنَاهُم يُنْفِقون﴾ [سورة البقرة : الآيات ٢ ـ ٣] .

المعلومة المعقولة ، إنما يذكر الله تعالى من هذا النوع الأدلة والبراهين على ما أخبر به وأخبرت به رسله .

القسم الثاني : وهو الغيب الذي أمر بالإيمان به ومدح المؤمنين به في غير موضع من كتابه . وضابط هذا القسم أنّه كل ما أخبر الله به وأخبرت به رسله على وجه يدعو الناس إلى تصديقه والإيمان به . وذلك **أنواع كثيرة أجلّها وأعلاها وأفضلها وأنفعها وأيسرها ما أخبر به في كتبه وأخبرت به رسله من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ونعوته الجليلة الجميلة وأفعاله الحميدة** . وفي الكتاب والسنة من هذا النوع شيء كثير جداً بحسب الحاجة إليه، فإنه لا أعظم حاجة وضرورة من معرفة النفوس بربها ومليكها الذي لا غنى لها عنه طرفة عين ولا صلاح لها ولا زكاء إلا بمعرفته وعبادته ، وكلما كان العبد أعرف بأسماء ربه وما يستحقه من صفات الكمال وما يتنزه عنه مما يضاد ذلك كان أعظم إيمانا بالغيب واستحق من الثناء والمدح بحسب معرفته . وموضع هذا تدبر أسمائه الحسنى التي وصف وسمى بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسله فيتأملها العبد إسماً إسماً يعرف معنى ذلك ، وأنّ له تعالى من ذلك الاسم أكمله وأعظمه ، وأنّ هذا الكمال والعظمة ليس له منتهى ، ويعرف أنّ كل ما ناقض هذا الكمال بوجه من الوجوه فإن الله تعالى منزه مقدس عنه . ولما كان هذا النوع هو أصلُ الإيمان بالغيب وأعظمه وأجلّه قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «إنّ لله تسعة وتسعين إسماً ، مائة إلا واحد ، من

أحصاها دخل الجنة»(١) أي ضبط ألفاظها وأحصى معانيها وتعقَّلها في قلبه وتعبَّد الله بها وتقرَّب بمعرفتها إلى رب العالمين .

فينبغي للمؤمن الناصح لنفسه أن يبذل ما استطاع من مقدوره في معرفة أسماء الله وصفاته وتقديسه ، ويجعل هذه المسألة أهم المسائل عنده وأولاها بالإيثار وأحقها بالتحقيق ليفوز من الخير بأوفر نصيب . ولهذا لما سأل النبي ﷺ الرجل الأنصاري عن سبب ملازمته لقراءة سورة قل هو الله أحد في صلاته ، فقال : لأنها صفة الرحمن فأحبُّ أن أقرأ بها . فقال : «حُبُّكَ إياها ادخلك الجنة» متفق عليه(٢) .

فثبت أنّ حب العبد لصفات الرحمن وملازمة تذكرها واستحضار ما دلت عليه من المعاني الجليلة والتفهم في معانيها من أسباب دخول الجنة . وطريق ذلك أن يجمع العبد الأسماء الحسنى الواردة في القرآن وهي قريب من ثمانين إسماً وفي السنة زيادة على ذلك فيتدبرها ويعطي كل إسمٍ منها عموم ذلك المعنى وكماله وأكمله .

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢١٤ و ١٣/ ٣٧) ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٢٥٥) تعليقاً من حديث أنس رضي الله عنه ، ووصله الترمذي والبيهقي وابن خزيمة .
وأخرج البخاري ومسلم نحوه من حديث عائشة رضي الله عنها .

[تدبر اسم الله] :

فإذا تدبر اسم (الله) عرف أنّ الله تعالى له جميع معاني الإلهية وهي : كمال الصفات والانفراد بها وعدم الشريك في الأفعال لأن المألوه إنما يؤله لما قام به من صفات الكمال فيُحَب ويُخْضَع له أجلها، والباري جل جلاله لا يفوته من صفات الكمال شيء بوجه من الوجوه . أو يؤله ويعبد لأجل نفعه وتوليه ونصره فيجلب النفع لمن عبده ويدفع عنه الضرر ، ومن المعلوم أن الله تعالى هو المالك لذلك كله وأنّ أحداً من الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . فإذا تقرر عنده أن الله وحده المألوه أوجب له أن يُعَلِّق بربه حبه وخوفه ورجاءه ، وأناب إليه في كل أموره وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين ممن ليس له من نفسه كمال ، ولا له فعال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

[تدبر اسم : العليم] :

ويتدبر مثلاً اسم (العليم) فيعلم أنّ العلم كله بجميع وجوهه واعتباراته لله تعالى . فيعلم تعالى الأمور المتقدمة والأمور المتأخرة أزلاً وأبداً ، ويعلم جليل الأمور وحقيرها وصغيرها وكبيرها ، ويعلم تعالى ظواهر الأشياء وبواطنها غيبها وشهادتها ما يعلم الخلق منها وما لا يعلمون ، ويعلم تعالى الواجبات أو المستحيلات والجائزات ،

ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلى كما يعلم ما فوق السمٰوات العُلى، ويعلم تعالى جزئيات الأمور وخبايا الصدور وخفايا ما وقع ويقع في أرجاء العالم وأنحاء المملكة فهو الذي أحاط علمه بجميع الأشياء في كل الأوقات ولا يعرض تعالى لعلمه خفاء ولا نسيان . ويتلو على هذه الآيات المقررة له كقوله في غير موضع : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٦٢] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة لقمان : آية ٢٣] ، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة التغابن : آية ٤] ، ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [سورة طه : آية ٧] ، ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الرعد : ١٠] . ﴿أَلَم تَعْلَم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا في السَّمَاءِ والأرضِ إنَّ ذَلكَ في كتابٍ إنَّ ذلكَ على اللهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج : آية ٧٠] . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران : الآيات ٥ ـ ٦]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان : آية ٣٤] . ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ

إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٩]. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحج: آية ٦٣]. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [سورة الجن: الآيات ٢٦ ـ ٢٧]. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سورة سبأ: آية ٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمّىً وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: الآيات ٢٧ ـ ٢٩]. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المجادلة: آية ١٣]. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: آية ٦]. ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة: آية ١٧]. وغير ذلك من النصوص الكثيرة على

هذا المعنى فإنَّ تدبُّـر بعض ذلك يكفي المؤمن البـصير مـعـرفـةً بإحاطة علم الله تعـالى وكمال عظمته وجليل قدره وأنّـه الرب العظيم المالك .

[تدبر اسم الرحمن] :

وكـذلك يتـدبر اسمه (الرحمن) وأنه تعالى واسع الرحمة ، له كمال الـرحمه ، ورحمتـه قـد ملئت العـالم العلوي والسـفلي وجميع المخلوقـات وشـملت الدنيـا والآخـرة . ويتدبر الآيات الدالة على هذا المعنى كقوله تـعـــالى : ﴿وَرَحْـمَتِـي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سـورة الأعـراف : آيـة ١٥٦] ، ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ بِٱلنَّاسِ لَـرَءُوفٌ رَّحِـيمٌ﴾ [سـورة البـقـرة : آيـة ١٤٣] ، ﴿فـانْظُر إلى آثارِ رَحمَةِ اللهِ كَيفَ يُـحْيي الأرضَ بَعْدَ مَوْتِـهـا إنّ ذلكَ لَمُـحيي المَوْتى﴾ [سـورة الـروم: آية ٥٠] ﴿أَلَـمْ تَرَواْ أَنَّ ٱللَّـهَ سَـخَّـرَ لَكُم مَّا فِـي ٱلسَّـمَٰوَاتِ وَمَا فِـي ٱلأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْـكُمْ نِعَـمَهُ ظَاهِـرَةً وَبَاطِنَـةً﴾ [سورة لقمان: آية ٢٠]، ﴿وَمَـا بِكُـم مِّـن نِّعْمَـةٍ فَـمِـنَ ٱللهِ ثُـمَّ إِذَا مَسَّـكُـمُ ٱلضُّـرُّ فَإِلَيْهِ تَـجْـأَرُونَ﴾ [سـورة النحل: آية ٥٣]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْـمَتَ ٱللهِ لاَ تُـحْصُوهَا إِنَّ ٱلإِنـسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّـارٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِـيـمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَذَا ٱلْبَلَدَ آمِنـاً وَٱجْنُبْـنِي وَبَنِـيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّـهُـنَّ أَضْلَلْـنَ كَثِيراً مِّـنَ ٱلنَّاسِ فَمَـن تَبِعَنِـي فَإِنَّـهُ مِنِّـي وَمَنْ عَصَانِـي فـإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيـمٌ﴾ [سـورة ابراهيم: الآيات ٣٤ ـ ٣٦] ، **ويتلو سـورة النحل الدالة على أصـول النعم وفروعها** التي هي نفـحـةٌ وأثرٌ من آثار رحمة الله ولهذا قـال في آخرها :

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [سورة النحل : آية ٨١] .

ثم تدبر **(سورة الرحمن)** من أولها إلى آخرها فإنها عبارة عن شرح وتفصيل لرحمة الله تعالى فكل ما فيها من ضروب المعاني وتصاريف الألوان من رحمة الرحمن ولهذا اختتمها في ذكر ما أعدّ الله للطائعين في الجنة من النعيم المقيم الكامل الذي هو أثرٌ من رحمته تعالى، ولهذا يُسَمِي الله الجنة الرحمة كقوله ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠٧] .

وفي الحديث : «إن الله قال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي»(١) .

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف : ٦٤] .

وفي الحديث الصحيح: «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»(٢) .

وفي الحديث الآخر : «إن الله كتب كتاباً عنده فوق عرشه أنَّ رحمتي سبقت غضبي»(٣) .

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٨/ ٥٩٥) ومسلم (١٧/ ١٨٠ ، ١٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) ومسلم (١٧/ ٦٩ ـ ٧٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٨٧) ومسلم (١٧/ ٦٧ ـ ٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي الجملة فالله خلق الخلق برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته ، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة والباطنة برحمته ، ودَبّرهم بأنواع التدبير وصَرَّفهم بأنواع التصريف برحمته ، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته فلا طابت الأمور ولا تيسرت الأشياء ولا حصلت المقاصد وأنواع المطالب إلا برحمته ، ورحمته فوق ذلك وأجل وأعلى وللمحسنين المتقين من رحمته النصيب الوافر والخير المتكاثر ﴿إِنَّ رَحْمَةَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٦] .

وهكذا يتدبر العبد صفات ربه وآثارها وأحكامها حتى ينصبغ قلبه بمعرفته ويستنير فؤاده ويمتلىء من عظمة خالقه وشواهد صفاته. ولنقتصر على هذا التنبيه اللطيف على هذه الأسماء الثلاثة ليحتذى في باقيها على هذا الحذو ويتدبر مثلا : آية الكرسي ، وأول سورة آل عمران ، وأول سورة الحديد ، وغافر ، وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص ، ونحوها من الآيات المشتملة على هذا العلم العظيم . وما يتأيد بها من الأحاديث النبوية لينال حظا جزيلاً من الإيمان بالغيب وليكون من الذين يخشون ربهم بالغيب .

● **ومن الإيمان بالغيب : الإيمان بجميع رسل الله الذين أرسلهم** على وجه الإجمال والتفصيل لأشخاصهم ولدعوتهم وشرعهم. وكذلك الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله هداية للعباد على ما اجتباهم برسالته ولهذا سمى الله الوحي الذي أنزله على رسوله

غيبا فقال ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكوير : آية ٢٤] ويذكر تعالى من أدلة رسالة محمد ﷺ الإخبار بوقائع الأنبياء المتقدمين وما جرى لهم فيقول : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ [سورة هود : آية ٤٩]. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة آل عمران : آية ٤٤] . ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة القصص : آية ٤٤] ، وما أشبه هذا مما فيه التبيان لصحة رسالة محمد ﷺ حيث أخبر بهذه الغيوب .

فتمام الإيمان بالغيب أن يؤمن العبد بجميع رسل الله ويعرف من صفاتهم ومن دعوتهم ما يحقق به هذا الأمر .

● **وكذلك يؤمن بجميع الكتب خصوصاً هذا القرآن العظيم** الذي كلف العبد بالإيمان به إجمالا وتفصيلاً .

وكيفية الإيمان على وجه الإجمال والتفصيل :

١ ـ أن يؤمن ويُصدِّق بأنه كلام الله أنزله مع جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ بهذا اللسان العربي لينذر الخلق ويهدي إلى الحق في جميع المطالب .

٢ ـ ويلتزم العبد التزاما لا تردد فيه تصديق إخباراته كلها وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وإحلال حلاله وتحريم حرامه .

٣ ـ ثم يحقق هذا الأصل بتفاصيله فيتفهم ما دلت عليه أخباره ويجعلها عقيدة لقلبه راسخة لا تزلزلها الشُّبه ولا تغيرها العوارض .

٤ ـ ويجتهد في كل ما أُمر به من أعمال القلوب والجوارح ؛ أن يقوم به على وجه الكمال والتكميل علماً وعملاً وحالاً ، وما لا يقدر عليه ينوي فعله لو قدر عليه .

٥ ـ وكذلك النواهي يأخذ نفسه في كل ما نُهِيَ عنه أن لا يقربه ولا يحوم حوله امتثالاً لأمر الله ورجاء لثوابه .

فبحسب قيام العبد بهذا يكون إيمانه بالغيب فَمُسْتَقِل ومُسَتكِثر ومُتوسطِ ويدخل في هذا النوع الإيمان بإخباره بما كان من الأمور الماضية وما يكون من الأمور المستقبلة .

● **ومن أنواع الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الآخر وبما وعد الله العباد من الجزاء** فدخل في هذا الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وأحواله ، ومن صفات يوم القيامة وأهواله ، ومن صفات النار وأهلها وما أعد الله لهم فيها ، ومن صفات الجنة وأهلها وما أعد الله فيها لأهلها . فيفهمها فهماً صحيحاً مأخوذاً من الكتاب ودلالته البينة ومن السنة الصحيحة ودلالتها الظاهرة ، فبحسب ما يصل إلى العبد من نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب وفهمها على وجهها يكون إيمان العبد بالغيب .

وإذا استقر الإيمان بالوعد والوعيد في قلب العبد وحصل فيه من ذلك تفاصيل كثيرة أوجب له الرغبة في فعل ما يقربه إلى ثواب الله والرهبة من الأسباب الموجبة للإهانة وعلم إنّ الله تعالى قائم على كل نفس بما عملت من خير وشر ، وأنه واسع الفضل كامل العدل ، قال تعالى : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾ [سورة مريم : آية ٦١] . ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً﴾ [سورة النساء : آية ١٢٢] . ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللهِ حَدِيثاً﴾ [سورة النساء : آية ٨٧] . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران : آية ٩] .

● **ومن الإيمان بالغيب الإيمان بالملائكة الكرام** الذين جعلهم الله عبادا مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وإنه تعالى جعلهم يدبرون بأمره وإذنه أمور الدنيا والآخرة فهم أكثر جنود الله وهم رسله في أحكامه الدينية وأحكامه القدرية ، وإن الله جعل للعبد منهم معقبات يحفظونه من أمر الله ويحفظون عليه أعماله ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق : آية ١٨]، ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار : الآيات ٩ ـ ١٢] . ولهم صفات وأفعال مذكورة في الكتاب والسنة لا يتم الإيمان بالغيب إلا بالإيمان بها .

فـرجع الإيمان بالغـيب إلى أُصـول الإيمان السـتـة : بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على هذا الوجه الذي ذكرنا والأصل الذي نبهنا أدنى تنبيه عليه فمن حقق الإيمان بذلك كله كان من المؤمنين ـ بالغيب حقيقةً ـ المتقين المفلحين .

[فائدة عظيمة ومبحث بديع
في معاني أدعية القرآن الكريم]

فائدة عظيمة : لما كان الدعاء مُخُّ العبادة(١) ولبها وخالصها ، لكونه متضمنا للافتقار التام لله والخشوع والخضوع بين يديه ، وتنوع عبوديات القلب ، وكثرة المطالب المهمة ، **كان أفضله وأعلاه ما كان أنفع للعبد وأصح من غيره وأجمع لكل خير** وتلك أدعية القرآن التي أخبر الله بها عن أنبيائه ورسله وعباده الأخيار التي كان سيد المرسلين يختارها على غيرها .

ولما كان من شروط الدعاء وآدابه حضور قلب الداعي واستحضاره لمعاني ما يدعو به أحببتُ أن أُنبِّه تنبيها لطيفا على معاني أدعية القرآن ليسهل استحضارها فيعظم انتفاع العبد بها :

---

(١) اللفظ الصحيح الثابت عن النبي ﷺ قوله : «الدعاء هو العبادة» .
أخرجه أحمد (٤/٢٦٧) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٤٣٢) وابن ماجة (٣٨٢٨) وغيرهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
أما اللفظ الذي أثبته المصنف فقد أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٤٣١) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .
وعلق العلامة المباركفوري على مقولة الترمذي السابقة فقال : «وهو ضعيف عند أهل الحديث [أي ابن لهيعة] ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره . . . ومع ضعفه فهو يدلس عن الضعفاء» انظر «تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي» (٩/٣١١) .

● **فأفضل أدعية القرآن وأفرضها** قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة : الآيات ٦ ـ ٧] أي علِّمنا ياربنا وألهمنا ووفِّقنا لسلوك الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، المشتمل على علم ما يحبه الله ورسوله ، ومحبته وفعله على وجه الكمال ، وعلم ما يكرهه الله ورسوله ويغضبه ، وتركه من كل وجه . وحقيقة ذلك أنَّ الداعي بهذا الدعاء يسأل الله تعالى أن يهديه الصراط المستقيم المتضمن لمعرفة الحق والعمل به ، ويجنبه طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وتركوه ، وطريق الضالين الذين تاهوا عن الحق فلم يعرفوه .

● **ومن أجمع الأدعية وأنفعها دعاء أرباب الهمم العالية** الذين جمع الله لهم بين خيري الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة : ٢٠١] فَصَدَّرُوا دعاءهم بقولهم ﴿ربنا﴾ وذلك متضمن لاستحضارهم معنى **تربية الله العامة** وهو : الخلق والتدبير وإيصال ما به تستقيم الأبدان ، **والتربية الخاصة** لخيار خلقه الذين رباهم بلطفه وأصلح لهم دينهم ودنياهم وتولاهم فأخرجهم من الظلمات إلى النور . وهذا متضمن لافتقارهم إلى ربهم وأنهم لا يقدرون على تربية نفوسهم من كل وجه فليس لهم غير ربهم

يتولاهم ويصلح أُمورهم ، ولهذا كانت أغلب أدعية القرآن مُصَدَّرَة بالتوسل إلى الله بربوبيته لأنها أعظم الوسائل على الإطلاق التي تحصل بها المحبوبات وتندفع بها المكروهات .

وحسنة الدنيا اسم جامع : للعلم النافع ، والعمل الصالح ، وراحة القلب والجسم ، والرزق الحلال الطيب من كل مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومسكن ونحوها فهي اسم جامع لحسن الأحوال وسلامتها من كل نقص .

وأما حسنة الآخرة فهي كل ما أعده الله لأوليائه في دار كرامته مما لا عين رأت ، ولا أُذن سَمِعَت ولا خَطَرَ على قلب بشر .

ولما كانت حسنة الدنيا والآخرة تمامها وكمالها الحفظ من عذاب النار، والحفظ من أسبابه وهو الذنوب والمعاصي قالوا : ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فاشتمل هذا الدعاء على كل خير ومطلوب محمود ، ودفع كل شر وعذاب . ولهذا كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء كثيراً .

● ومن ذلك الدعاء الذي في آخر البقرة الذي أخبر الله على لسان رسوله أنه قبله من المؤمنين حين دعوا به ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا

وَٱغْفِـرْ لَنَا وَٱرْحَـمْـنَا أَنـتَ مَوْلاَنَا فَـٱنْصـرْنَا عَلَـى الْقَـوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [سـورة البـقرة : آية ٢٨٦] ولما كـان إخـلال العـبد بأمر الله قد يكون عـمـدا على وجـه العلم ، وقد يكون نسياناً وخطأً وكان هذا القسم غير ناشيء عن عـمل القلب الذي هو محل الإثم وعـدمه سألوا ربهم أن لا يؤاخـذهم بالنسيـان والخطأ وذلك عام في جميع الأمور قال الله تعالى : قد فعلت .

ولما كـانت بعض الأفـعـال فـيـهـا شدة ومشقة وآصار وأغلال لو كُلِّـفَ العـبـادُ بها ، لأحرى أن لا يقـومـوا بها سألوا الله تعـال بأن لا يُـحَمِّلَـهُم إياها ولا يُكَلِّفَـهُم بما لا طاقة لهم به ليسهل عليهم أمر ربهم وتخف عليـهم شرائعه الظاهرة ، فقال الله تعالى : قد فعلت .

ولما كـانت أيضـا الشرائع التي شرعـهـا الله لعباده لابد أن يحصل منهم التـقـصير فـيـهـا إما بفعل محظور أو بترك مأمور ، وذلك مُوجِبٌ للشر والعـقـوبة إن لم يغفره الله ويزله قالوا : ﴿واعفُ عَنَّـا وَاغْفِـرْ لَنَا﴾ فـبـهـذه الأمـور تـندفع المكروهات والشرور كلهـا ، ثم سألوا الله بعـد ذلك الرحمة التي ينشأ عنها كل خير في الدنيا والآخرة .

ولما كـان أمر الدين والتمكين من فعل الخير وترك الشر لا يحصل ولا يـتـم إلا بـولايـة الله وتـولـيـه ونـصرتـه على الأعـداء الكافـرين من الـشيـــطان وجـنوده قـالــوا : ﴿أَنـتَ مَولاَنَـا فَانْصُــرنَا عَلَـى القَـوْمِ الكَافِرِينَ﴾ قـال تعـالى : قـد فعـلت . فالله تعـالى يتـولى عبده وييسره

لـلـيسرى في جميع الأمـور ، فـيـدفع عنه الشرور فـهـو نعم المولى ونعم النصير .

● ومن هذا **دعاء الراسخين في العلم** بعد الثناء عليهم بالإيمان الـتـام ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [سـورة آل عمران : آية ٨] فـسـألوا ربهم وتوسلوا بربوبيتـه في حـصـول أفضل الوسائل وهو استقامة القلوب على ما يحبه الله ويرضـاه والثبات على ذلك ، وعدم زيغها عن هذه الهداية ، وأجل المقـاصـد وهو حـصـول رحمة الله تعـالى التي يحصل مـعـهـا خير الدنيا والآخـرة ، وخـتـمـوا دعـاءهم بالتـوسل إلى ربهم باسـمه ﴿الْوَهَّابُ﴾ أي: كـثـير الـعـطـايـا واسـع الـكرم . فـمن كـرمك يا وهاب نسألك الإستـقـامـة وعـدم زيـغ الـقـلـوب وأن تهب لنا من لدنك رحمة ، لأن الرحمة التي من لدنه لا يقـادر قـدرها ولا يعلم مـا فـيـهـا من البركـات والخيرات إلا الذي وهبـهم إياها ؛ ويشـبه أن يكون قولهم ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران: آية ٩] توسـلاً إلى ربهم بإيمانهم بهذا اليوم وتصديق ربهم في وعـده ووعـيـده ، فإن التوسل إلى الله بالإيمان ومنّـة الله به من الوسائل المطلوبة فيكون هذا من تمام دعائهم .

● كـذلك **دعاء المتقين** الذين أعـد لهم الجنة ومـا فـيـهـا الذين يـقـولون ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سـورة آل عـمران : آية ١٦] فـتـوسلوا بربـوبية الله لهم وبإيـمـانهم أن يغفر لهم

الذنوب، وأن يقيهم عذاب النار ؛ وإذا غفرت ذنوبهم ووقاهم الله عذاب النار زال عنهم الشر بأجمعه وحصل لهم الخير بأجمعه لأن الأدعية هكذا تارة تأتي مطابقة لجميع مطالب العبد ، وتارة يذكر نوع منها ويدخل الباقي باللزوم كهذا الدعاء .

● ومما أتى فيه الدعاء بجميع المطالب على وجه المطابقة **دعاء أولي الألباب وخواص الخلق** حيث قالوا بعدما تفكروا بها في ملكوت الله ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [سورة آل عمران : الآيات ١٩١ ـ ١٩٤] فتوسلوا بربوبية الله، وكرروا هذا التوسل وإقرارهم بحكمة الله وصِدْقِ وعده ووعيده، وإيمانهم برسل الله حين دعوهم إلى الإيمان ، ومنَّة الله عليهم بالمبادرة بذلك أن يقيهم عذاب النار ، وأن يغفر ذنوبهم الكبار، ويكفر عنهم سيئآتهم الصغار ، فيدفع عنهم أعظم العقوبات وهو عذاب النار ، ويزيل عنهم أسباب الشرور كلها وهي الذنوب والسيئآت ، وأن يرزقهم الله ويوفقهم لأعمال البِرِّ كلها فيصيروا بذلك من عباد الله الأبرار ، وأن يثبتهم عليها حتى يموتوا عليها فيدخلوا في مَعِيَّة الأبرار ، وأن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة رسله وذلك شامل لعطايا

الدنيا وخيراتها وعطايا الآخرة وكراماتها ، وأن يكرمهم في يوم القيامة ولا يخزهم .

وحقيق بقوم دعوا بهذه الأدعية الجليلة بحيث ما بقي خير إلا سألوه ولا شر إلا استدفعوه أن يسميهم الله أولي الألباب فهذا من لبهم وعقلهم وتمام فطنتهم ، نسأله تعالى أن يوفقنا لما وفقهم له ، إنَّه جواد كريم .

● **ومن ذلك دعاء أتباع الأنبياء في مواطن الشدائد وأنواع المحن** ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران : الآيات ١٤٧ ـ ١٤٨] فَدَلَّ هذا على أنّ هذا الدعاء من الدعاء الذي استجابه الله وأن أهله محسنون فيه ، وذلك أنهم توسلوا إلى الله بربوبيته فافتقروا إليه وطلبوا أن يُريَهم بما يصلح أحوالهم ، وأن يغفر لهم الذنوب وهي المعاصي المستقلة ، وإسرافنا في أمرنا وهي تعدي ما حدَّ للعبد ونُهِيَ عن مجاوزته ، فكما أن التقصير يلام عليه الإنسان فكذلك المجاوزه للحد ، وأن يثبت أقدامهم فيرزقهم الصبر والثبات والقوة التي هي مادة النصر ، وأن يمدهم بمدده الإلهي وهو نصره على القوم الكافرين . فسألوا ربهم زوال المانع من النصر وهي الذنوب والإسراف ، وحصول سبب النصر وهو نوعان :

١ ـ **سبب داخلي وهو** : ثبات الأقدام والصبر عند الإقدام .

٢ ـ **وسبب خارجي وهو** : نصره .

ويشبه أن يكون قولهم ﴿عَلَى القومِ الكَافِرين﴾ توسل إلى الله ، وأننا يا ربنا آمنا بك واتبعنا رسلك وحاربنا أعدائك الذين كفروا بك وبرسلك فمعاداتنا لهم وقتالنا إياهم لأجلك وفي سبيلك فانصرنا عليهم لكوننا من حزبك وجندك ، وهم جنود عدوك الشيطان الرجيم.

● ومن ذلك **دعاء عباد الرحمن** الذين وصفهم الله بكل خلق جميل واعد لهم المنازل العالية ، فدعوا بدعوتين دعوة استجيبت لجميعهم كامل الدرجة ومن دونه ، ودعوة استجيبت لخواصهم وأئمتهم وقدوتهم ، قال تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ [سورة الفرقان : الآيات ٦٣ ـ ٦٥] فتوسلوا بربوبية الله لهم وإيمانهم وخوفهم من عذابه أن يقيهم عذاب النار ، وإذا وقاهم الله عذاب النار كان من لازم ذلك مغفرة ذنوبهم وتكفير سيئآتهم ودخولهم الجنة ، وقال تعالى عنهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ [سورة الفرقان : آية ٧٤] فتوسلوا بربوبية الله أن يهب لهم من أزواجهم وقرنائهم وذرياتهم ما تقر أعينهم به وهو أن يكونوا مطيعين

لله عـاملين بمرضاته ، وذلك دليل على أن طاعة الله قرة أعينهم ومحبته نـعـيم قلوبهم ، فـقـويت هذه الحـالة إلى أن سألوا الله تعـالى أن يجعل قـرناءهم بهذه الحـالة الكاملة وذلك من فضل الله عليهم ، فإن الله إذا أصلح قـرناءهم عـاد من هذا الخير عليـهم شيء كثير ولهذا جعلوا هذا من مواهب ربهم فقالوا : ﴿رَبنَا هب لَنَا﴾ الخ .

ولما كـان غـاية كمال الإنسـان أن يكون مطيعا لله وأن يكون قرينا للمطيـعين سألوا ربهم أعلى المراتب وأجلهـا وهي الإمـامة في الدين وأن يـكـونوا قـدوة للمتـقين . وذلك أن يجعلهم علماء ربانيين راسـخين في الـعلم مجتـهـدين في تعلمـه وتعليـمـه والدعـوة إليـه وأن يكون علمـهـم صـحـيـحـا بحيث أنَّ من اقتدى بهم فهو من المتقين ، وأن يرزقهم من الأعمال الظاهرة والبـاطنة مـا يصيرون به أئمـة للمـتـقين ، وجماع ذلك الـصـبر على محبـوبات الله وثبـات النفس على ذلك والإيقـان بآيات الله وتمام العلم بها قـال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْـهُـمْ أَئِـمَّـةً يَـهْدُونَ بِأَمْـرِنَا لَـمَّـا صَبَــرُواْ وَكَانُـواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سـورة السـجـدة : آية ٢٤] فالحاصل أنهـم سـألـوا ربهم أن يكونوا كـاملين مكملين لغيرهم هادين مـهـتـدين وهـذه أعلى الحـالات فلذلك أعـد الله لهم أعلى غـرف الجنان ﴿أُوْلَئِـكَ يُـجْزَوْنَ ٱلغُـرْفَـةَ بِـمَـا صَبَـرُواْ وَيُلَقَّـوْنَ فِـيـهَا تَـحِيَّـةً وَسَلاَمَاً خَالِدِينَ فِيـهَا حَسُنَتْ مُسْـتَقَـرّاً وَمُقَـامـاً﴾ [سـورة الـفـرقـان : الآيـات ٧٥ـ ٧٦] .

● ومـن ذلك **دعاء آدم عليه السلام** حـين تـاب إلى الله وتلقى

منه هذه الكلمات هو وزوجه قالا : ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف : آية ٢٣] فتوسلا بربوبية الله واعترافهم بالظلم وإقرارهم بالذنب أن يغفر لهما فيزيل عنهما المكاره كلها وأن يرحمهما فيعطيهما أنواع المطالب ، وأنه لا وسيلة لهما ولا ملجأ منه إلا إليه وأنه لإن لم يرحمهما ويغفر لهما خسرا الدنيا والآخرة ، فقبل الله دعائهما وغفر لهما ورحمها .

● ومثل قول **نوح لما لامه الله بسؤال نجاة ابنه الكافر** الذي ليس من أهله وإن هذا عمل غير صالح فقال : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [سورة هود : آية ٤٧] . فتوسل بربوبية الله واستعاذ به أن يسأله سؤالا ليس له به علم ، وإنما حمله عليه مجرد محبة النفس لا إرادة رضى الله ، واعترف بأن هذا الذي جرى منه يوجب التضرع والاستغفار وأنه إن لم يغفر له ربه ويرحمه كان من الخاسرين .

فالناس قسمان : **رابحون** وهم : الذين تغمدهم الله بمغفرته ورحمته ؛ **وخاسرون** وهم : الذين فاتتهم المغفرة والرحمة ولا يحصل ذلك إلا بالله .

● ومن ذلك **دعاء ابراهيم خليل الرحمن وابنه اسماعيل** وهما يرفعان قواعد البيت : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْعَلِيمُ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: الآيات ١٢٧ ـ ١٢٨] فتضرعا إلى ربهم في قبول الله عملهما ، وأن يكون كاملا من كل وجه ، وتحصل منه الثمرات النافعة ، وتوسلا إليه بأنه السميع لأقوالهما ، العليم بجميع أحوالهما ؛ ولما دعوا بهذا الدعاء الخاص في قبول عملهما سألا الله أجل الأمور وأعلاها وهو أن يَمُنَّ الله عليهما وعلى من شاء من ذريتهما بالإسلام لله ظاهراً وباطناً، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وأن يعلمهما العمل الذي شرعا فيه ، ويكمل لهما مناسكهما علما ومعرفة وعملا ، وأن يتوب عليهما لتتم أمورهما من كل وجه . فاستجاب الله هذا الدعاء كله وبارك فيه وحقق رجاءهما والله ذو الفضل العظيم .

● وكذلك **دعاء يوسف عليه السلام** : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠١] فتوسل إلى الله بربوبيته وبنعمة الله عليه بنعمة الدنيا وهي المُلك وتوابعه ، ونعمة الدين وهي العلم الكامل ، وبولاية الله وانقطاعه عن غيره ، وتولي الله له في الدنيا والآخرة أن يثبته على الإسلام الظاهر والباطن حتى يلقاه عليه فيدخله في خلص عباده الصالحين .

● ومن ذلك **دعاء سليمان عليه السلام** ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُـرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّـتِـي أَنْعَمْـتَ عَلَـيَّ وَعَلَـىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَـلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِـي بِرَحْـمَتِكَ فِـي عِبَادِكَ ٱلصَّالِـحِينَ﴾ [سـورة النمل : آية ١٩] فـتـوسل إلى الله بربوبيتـه وبنعمته عليه وعلى والديه أن يُوزِعَـهُ أي يُلهِـمـه ويوفـقـه لشكرها بالاعتراف بها ومحبته لله عليها والثناء عليه والإكثـار من ذكـره ، وأن يوفـقـه عملا صالحا يرضاه ويدخل في هذا جميع الأعمال الصـالحـة ظاهرها وباطنهـا ، وأن يدخله برحمتـه في جملة عـباده الصالحين . وهذا الدعاء شامل لخير الدنيا والآخرة .

● ومـثل هذا **دعـاء الذي بلَّـغَهُ الله أشده** وبلغـه أربعين سنة ومَـنَّ عـليـه بالإنابة إليـه فـقـال : ﴿رَبِّ أَوْزِعْـنِـي أَنْ أَشْـكُـرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّـتِـي أَنْعَمْـتَ عَلَـيَّ وَعَلَـىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَـلَ صَالِحـاً تَرْضَاهُ وأَصْلِـحْ لِـي فِـي ذُرِّيَّـتِـي إِنِّـي تُبْتُ إِلَيْـكَ وَإِنِّـي مِنَ ٱلْـمُسْلِمِـينَ﴾ [سـورة الأحقاف : آية ١٥] فـتوسل بربوبية ربه له وبنعمته عليه وعلى والديه وبالتـزام ترك مـا يكرهه ربه بالتـوبة وفـعل مـا يحبه بالإسلام أن يَـمُنَّ عليـه بالشُّـكر المتـضمن لاعتراف القلب وخضوعه ومحبته للمُنْـعِم والـثناء على الله مطلقـا ومـقـيدا ، وأن يوفـقـه لما يحبـه الله ويرضـاه ، ويصلح له في ذريتـه فهذا دعاء محتوٍ على صلاح العبد وإصلاح الله له أمـوره كلها وإصلاح ذريته في حياته وبعد مماته وهو دعاء حَقِيقٌ بالعبد خُصـوصـاً إذا بلغ الأربعين أن يداوم عليـه بِذُلٍّ وافتقار لعله أن يدخل في قـولـه : ﴿أُوْلَئِـكَ ٱلَّـذِينَ نَتَقَبَّـلُ عَنْـهُـمْ أَحْسَـنَ مَا عَمِـلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِـهِـمْ فِـي أَصْحَـابِ ٱلْجَنَّـةِ وَعْدَ ٱلـصِّدقِ ٱلَّـذِي كَانُواْ

يُوعَدُونَ﴾ [سورة الأحقاف : آية ١٦] .

● قوله تعالى : ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [سورة القصص : آية ٢٤] مستريحا لذلك الظلال بعد التعب فقال في تلك الحالة مسترزقا : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص : آية ٢٤] أي إني مفتقر للخير الذي تسوقه إلَّي وتُيَسِّرَهُ لي ، وهذا سؤال منه بحاله ، والسؤال بالحال قد يكون أبلغ من السؤال بلسان المقال . فلم يزل في هذه الحالة راجيا ربه مُتَمَلِّقاً مُفْتَقِراً إليه مُعَلِّقاً رجاءه بالله وحده حتى فَرَّجَ كَربَهُ وجلى همه والله هو الرزاق .

● **ومن ذلك الأدعية التي أمر الله بها رسوله وعباده المؤمنين فقال :** ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون : آية ١١٨] فهذا توسلٌ إلى الله بربوبيته ورحمته الواسعة في حصول الخير ودفع الشر كله وهي المغفرة التي تندفع بها المكروهات والرحمة التي تحصل بها جميع المحبوبات .

● وكذلك قوله : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صَدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيراً﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٠] فهذا توسل إلى الله بربوبيته أن تكون مداخل العبد ومخارجه كلها صدقا وذلك أن تكون صالحة خالصة لوجه الله مقرونة بالاستعانة بالله والتوكل عليه ، وذلك يستلزم أن تكون حركات العبد كلها ظاهرها وباطنها طاعة لله وعملا بما يحبه ويرضاه ، وهذا هو الكمال من جهة العمل ؛ وأما الكمال من جهة

العلم فإنه يجعل الله له سلطاناً نصيراً أي حجة ظاهرة ناصرة وقوة يحصل بها نصر الحق وقمع الباطل فيحصل باستجابة هذا الدعاء العلم النافع والعمل الصالح والتمكين في الأرض .

● وقال تعالى لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه : آية ١١٤] فالعلم أجل الأشياء وبه تعرف جميع الأشياء ، فسؤاله وسؤال الزيادة منه من أفضل ما سَأَل السائلون .

● ومن أجمع الأدعية وأحسنها توسلا دعاء موسى عليه السلام حين تضرع إلى ربه فقال : ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَافِرِينَ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف : الآيات ١٥٥ ـ ١٥٦] فتوسل إلى وليه بولايته لعبده وحسن تدبيره وتربيته ولطفه على حصول المغفرة والرحمة، وكذلك توسل بكمال مغفرة الله وسعة جوده على هذا ، ورتب على هذا حصول حسنة الدنيا والآخرة ، فإنه اذا حصلت المغفرة زالت الشرور كلها والعذاب كله ، وإذا حصلت الرحمة حل الخير وحسنات الدنيا والآخرة . فيكون قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة نظير قوله : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [سورة البقرة : آية ٢٠١] مع زيادة التوسل بولاية الله وكمال غفرانه ومع طلب مغفرته ورحمته اللذين بهما تنال حسنة الدنيا والآخرة ثم ختم دعاءه بالتوسل إلى ربه بالإقبال إليه والإنابة إليه والتذلل لعظمته فقال ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أي رجعنا إليك في مهماتنا

وأمورنا لا نرجع إلى غيرك لعلمنا أنه لا يكشف السوء ولا يجيب المضطر إلا أنت ، ورجعنا إليك في عباداتنا الظاهرة والباطنة .

● ومن ذلك **دعاء أصحاب الكهف** إذ فروا إلى الله بدينهم فقالوا ملتجئين إليه : ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [سورة الكهف : آية ١٠] فتضرعوا إليه في أن يؤتيهم من لَدُنه رحمة بحيث إذا حلّت عليهم سلم لهم دينهم وحفظهم من الفتن وأنالهم بها الخير ، وأن يهيء لهم من أمرهم رشدا أي ييسرهم لليسرى ويسهل لهم الأمور ويرشدهم إلى أرفق الأحوال . فاستجاب لهم هذا الدعاء ونشر عليهم رحمته وحفظ أديانهم وأبدانهم وجعل فيهم بركة على أنفسهم وعلى غيرهم .

● ومن ذلك **دعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة المقربين** حين دعوا للمؤمنين ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة غافر: الآيات ٧ ـ ٩] وهذا دعاء جامع وتوسل نافع ، فتوسلوا بربوبية الله تعالى وسعة علمه ورحمته المتضمن علمه بحال المؤمنين وما خلقهم عليه من الضعف ورحمته إياهم لكونه جعل الإيمان أعظم وسيلة تُنَالَ بها رحمته أن يغفر للمؤمنين الملتزمين للإيمان وهم الذين

تابوا مما يكرهه الله واتبعوا سبيله بالتزام ما يحبه ويرضاه فيغفر ذنوبهم ويقيهم أشدَّ العذاب وهو عذاب الجحيم ، وأن ينيلهم أعظم الثواب وهو دخول جنات عدن التي وعدهم على ألسنة رسله وتمام ذلك أن يُقِرَّ أعينهم باجتماعهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم الصالحين ، ثم توسلوا بكمال عزة الله وكمال حكمته لأن المقام يناسب هذا ، فمن كمال عزته واقتداره أن يحفظهم ويَحُول بنيهم وبين السيئآت ويصرف عنهم السيئآت وينيلهم أنواع المثوبات . ومن كمال حكمته أن الموصوفين بتلك الصفات هم أهل لأن يغفر لهم ويرحمهم ويدفع عنهم السوء وينيلهم الأجر .

ولما دعوا أن يغفر لهم السيئآت التي فعلوها دعوا الله أن يقيهم سيئآت أنفسهم الأمَّارة بالسوء بأن يحُبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويُكَرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ويجعلهم من الراشدين، وإنَّ من لازِم وقاية السيئآت حصول رحمة الله. وهذا دعاء عظيم صادر من أعظم الخلق معرفة بالله ولذلك وصف الله من حصلت له هذه الأمور بالفوز بكل مطلوب والنجاة من كل مرهوب فقال : ﴿وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ .

● وكذلك **دعاء الذين اتبعوا المهاجرين والأنصار بإحسان** حيث قال تعالى عنهم : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوْا مِن بَعْدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر : آية ١٠]

فتضرعوا إلى ربهم وتوسلوا إليه بربوبيته ونعمته عليهم بالإيمان ، وبسعة رحمته ورأفته ، أن يغفر لهم ولجميع إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان وأن يصلح الله قلوبهم بالاجتماع على الإيمان ومحبة بعضهم بعضا ، وأن لا يجعل في قلوبهم أدنى غل لكل من اتصف بالإيمان .

وهذا الدعاء يتضمن حصول الخير لهم ولإخوانهم ودفع الشر عنهم وعن إخوانهم ، وقد أخبر الله أنَّ أنبيائه تضرعوا إليه في مطالب خاصة ومطالب عامة ، وتوسلوا بكمال أسمائه وصفاته ، وبما مَنَّ الله عليهم به من الإيمان والنِّعَم الدينية والدنيوية وبما كانوا عليه من الفقر والضعف وشدة الضرورة إلى ربهم في جميع أمورهم .

فهذه الأدعية التي أمر الله بها وحثَّ عليها ومدَحَ أهلها هي الأدعية النافعة التي لا يليق بالعبد أن يختار عليها غيرها من الأدعية المصطلحة والألفاظ المخترعة التي لا نسبة لها إلى هذه الألفاظ القرآنية.

إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم من الأعمال والأقوال الباطنة والظاهرة ومن ذلك الأدعية ، وكم في السُّنَّةِ من الأدعية النبوية مما يوافق الأدعية القرآنية فنسأله تعالى أن يهدينا لأحسَنِ الأمور ويصرف عنا جميع الشرور إنَّهُ جوادٌ كريم رؤوف رحيم .

[مبحث دقيق في الخشوع
وعلاماته وثناء الله تعالى على أهله]

سؤال : ما هو الخشوع الذي أمر الله به ومدح أهله وذمَّ من قسى قلبه فلم يخشع ؟ فما حقيقة ذلك وما علامته ودلالته ؟

قلت : قد مدح الله الخشوع عموما في جميع الأوقات والحالات والعبادات مثل قوله تعالى : ﴿وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٣٥] ، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة الحديد : آية ١٦] . ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة هود : آية ٢٣] .

ومدح الخشوع خصوصا في الصلاة مثل قوله : ﴿الَّذِينَ هُم فِي صَلاتِهِم خاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون : آية ٢] . فخشوع القلب عنوان الإيمان وعلامة السعادة ، كما أنّ قسوته وعدم خشوعه عنوان الشقاوة . **فالخشوع : انكسار القلب وذله بين يدي ربه** ، وأن يبقى هذا الخشوع مستصحبا مع العبد في جميع أوقاته : إن غَفِلَ رجع إليه ، وإن مرح عاد إليه ، وإن شرع في تعبد وقربة من القربات خضع فيها وقام بالأدب الذي هو أثر الخشوع خصوصا في أُمِّ

العبادات والجامعة بين أنواع التعبدات القلبية والبدنية وأقوال اللسان وهي الصلاة ، فإنه يقوم فيها مراعيا للمراقبة ومرتبة الإحسان : أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، فيجهد نفسه على التحقيق بهذه العبودية الكاملة ، فيُحضِر قلبه فيناجي ربه بقلبه قبل لسانه ويستحضر ما يقوله ويفعله فتسكن حركاته ويقل عبثه ، ولهذا لما رأى النبي ﷺ رجلاً يصلي وهو يعبث في لحيته قال : «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»(١) وبهذا يعرف أنّ **من أعظم علامات الخشوع :** سكون الجوارح ، والتأدب في الخدمة(٢) الذي هو أثر سكون القلب ولهذا وصف الله عباده الذين أضافهم إلى رحمته في قوله : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان : آية ٦٣] المراد خاضعين متواضعين .

(١) أورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٧٤٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال المناوي في «فيض القدير» (٥/٣١٩) معلقاً على الحديث : «رواه الحكيم الترمذي في «النوادر» عن صالح بن محمد بن سليمان بن عمر عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال : رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فذكره . قال الزين العراقي في «شرح الترمذي» : وسليمان بن عمر وهو أبو داود متفق على ضعفه وإنما يعرف هذا عن ابن المسيب وقال في «المغنى» سنده ضعيف . والمعروف أنه من قول سعيد ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» وفيه رجل لم يسمَّ وقال ولده سليمان بن عمرو مجمع على ضعفه . وقال الزيلعي : قال ابن عدي : أجمعوا على أنه يضع الحديث» .
ورواه موقوفاً على سعيد بن المسيب عبدالله بن المبارك في «الزهد» رقم (٤١٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/٢٨٩) أنا معمر عن رجل عن سعيد بن المسيب به .
وهذا إسناد ضعيف لجهالة الرجل الراوي عن سعيد بن المسيب .
(٢) أي في العبادة والطاعة .

ومن إمارات هذا الخشوع أن يطمئن القلب بذكر الله ، ويخشع ويخضع للحق الذي أنزله الله ، فيعتقد ما دل عليه من الحق ويرغب فيما دُعي إليه من الخير ويرهب عن ما حُذِّر منه من الشر ، كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد : آية ٢٨] وقال تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة الحديد : آية ١٦] . وقال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر : الآيات ٢٢ ـ ٢٣] فالقلب القاسي لا تؤثر فيه الآيات شيئاً ولا يزداد مع التذكير إلا تمادياً في غيِّه وطغيانه وضلاله ، والقلب الخاشع لما كان حسن القصد متواطئا على الحق طالبا له مستعداً لقبوله لَـمَّا وصل إليه الحق عرفه وعرف الحاجة بل الضرورة إليه ففرح به واطمأن به وزادت رغبته ، وأثَّر في قلبه خضوعا وفي عينيه دموعاً وفي جلده قشعريرة ، ثم يلين قلبه ويطمئن إلى ذكر الله تعالى فهذا من هداية الله لعبده وتوفيقه إياه إلا من أعرضوا فاعرض الله عنهم وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ [سورة الفرقان : آية ٧٣] أي بل خروا سامعين مبصرين

منقادين لها طوعا واختيارا ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِم يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [سورة الإسراء : ١٠٧ ـ ١٠٩] فهذا تأثير آيات الله في أهل العلم الخاشعين ، يجمعون بين خشوع القلب وخضوع اللسان وتضرعه وخضوع الجوارح حيث خروا للأذقان يبكون ، وقال تعالى بعدما ذكر أصفياءه الخاشعين : ﴿أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ [سورة مريم : آية ٥٨] .

ومن أعظم علامات الخاشعين ما ذكر الله بقوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [سورة الحج : آية ٣٤] ثم وصفهم فقال : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلاَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الحج : آية ٣٥] فلما اخبتت قلوبهم إلى ربهم فذلت له وانكسرت وتبتلت إليه تبتيلا ، وجِلَت عند ذكره وصبرت على ما أصابها من ابتلاء الله وأدت ما أُمرت به من الصلات وأنواع النفقات ، فجمع بين وصف المخبتين وبين أعمال القلوب وهو الصبر والوجل ، وأعمال الجوارح كلها وأقوال اللسان وهو الصلاة التي تجتمع فيها أنواع التعبد والأعمال

المالية وتقديم محبة الله على محبة المال فأخرجت المال المحبوب للنفوس في الوجوه التي يحبها الله تعالى إيثاراً لربها .

فهذه أوصاف المخبت الخاشع التي لا يستحق هذا الاسم من لم يتصف بها وكذلك وصفهم بأنهم الذين يعرفون الحق في مواضع الشبه فيزدادون إيماناً إلى إيمانهم كما قال تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحج : آية ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [سورة هود: آية ٢٣] يتضمن وصف المخبتين الخاشعين بالرجوع إلى ربهم في جميع الحالات والإنابة إليه في كل الأوقات لأنّ تعدية الفعل بإلى يدل على هذا المعنى فإنهم لما أخبتوا إلى ربهم وخضعوا لعظمته أخبتوا إليه في التعبد متذللين فتقبل منهم وأوصلهم إلى مقصوده وجعلهم أصحاب الجنّة خالدين فيها فلما خشعت قلوبهم خشعت أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم وجوارحهم للرحمن .

ومما يدل على أن هذه الأشياء تابعة للقلب في خشوعه ما تقدم من قوله ﷺ «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» وقوله تعالى : ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [سورة طه: آية ١١١] . وقوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة طه : آية ١٠٨] ولهذا فسّر كثير من المفسرين ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ أنه

غضُّ البصر وقلة الحركات وعدم الالتفات ولا شك أن هذا أثر الخشوع ودليله ، فالخاشع هو الذي سكن في قلبه تعظيم الله ووقاره وتصديق وعده ووعيده فذل وخضع وانقادت جوارحه لما أُمرت به ، وتَرَكَ الأشَرَ والبَطَرَ والمرح المنافي للخشوع وكلما بعد القلب عن هذا الوصف قسى وغلظ فلم يخضع لأمر الله ولا أثَّر فيه الذكر بل ربما زاد خسارا وافتتن عند المحن والشبهات وفسق عن أمرِ ربه .

يا لطيفاً بالعباد ، لطيفاً لما يشاء ، ألطف بنا في جميع الأمور .

[مبحث عظيم جليل
في لطف الله ـ سبحانه تعالى ـ بعبده]

سؤال : ما معنى لطف الله بعبده ؟

الجواب : ولطفه لعبده الذي تتعلق به آمال العباد ، ويسألونَه مِن ربهم ، وهو أحد معنيي مقتضى اسمه اللطيف ، فإنَّ اللطيف بمعنى الخبير العليم قد تقرر معناه ، ولكن المطلوب هنا المعنى الثاني الذي يضطر إليه العباد ، ولنذكر بعض أمثلته وأنواعه ليتضح .

فاعلم أنَّ اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال ولسان الحال هو من الرحمة بل هو رحمة خاصة ، فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف ، فإذا قال العبد : يا لطيف ألطف بي أو لي واسألك لطفك فمعناه : تولني ولاية خاصة بها تصلح أحوالي الظاهرة والباطنة وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية . فالأمور الداخلية لطف بالعبد والأمور الخارجية لطف للعبد ، فإذا يسَّرَ الله عبده وسهل طريق الخير وأعانه عليه فقد لطف به ، وإذا قَيَّض الله له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قُدْرَة العبد فيها صلاحه فقد لطف له . ولهذا لما تنقلت بيوسف عليه الصلاة والسلام تلك الأحوال وتطورت به الأطوار من

رؤياه وحسد إخوته له وسعيهم في إبعاده جداً واختصاصهم بأبيهم ثم محنته بالنسوة ثم بالسجن ثم بالخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة وإنفراده بتعبيرها وتبوءه من الأرض حيث يشاء وحصول ما حصل على أبيه من الابتلاء والامتحان ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار وإزالة الأكدار وصلاح حالة الجميع والاجتباء العظيم ليوسف ، عرف عليه الصلاة والسلام أنّ هذه الأشياء وغيرها لُطفٌ لَطَفَ الله لهم به فاعترف بهذه النعمة فقال : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة يوسف : آية ١٠٠] أي لطفه تعالى خاص لمن يشاء من عباده ممن يعلمه تعالى محلاً لذلك وأهلاً له فلا يضعه إلا في محله .

والله أعلم حيث يضع فضله فإذا رأيت الله تعالى قد يَسَّر العبد لليسرى وسهَّل له طريق الخير وذَلَّل له صعابه وفتح له أبوابه ونهج له طرقه ومهَّد له أسبابه وجنَّبه العسرى فقد لطف به .

ومن لطفه بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بلُطفه فيخرجهم من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة .

ومن لطفه أنه يرحمهم من طاعة أنفسهم الأمَّارة بالسُّوء التي هذا طبعها وديدنها فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى ، ويصرف عنهم السُّوء والفحشاء ، فتوجد أسبابُ الفتنة وجواذب المعاصي وشهوات

الغي فيُرسِلُ الله عليها برهان لطفه ونور إيمانهم الذي مَنَّ به عليهم فيدعونها مطمئنين لذلك منشرحةً لتركها صدورهم .

ومن لطفه بعباده أنّه يُقَدِّر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم ، فقد يريدون شيئاً وغيره أصلح فيُقَدِّر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفا بهم وبراً وإحساناً ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [سورة الشورى : آية ١٩] . ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الشورى : آية ٢٧] .

ومن لطفه بهم أنَّه يُقَدِّر عليهم أنواع المصائب وضروب المحن والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم ولطفاً وسوقاً إلى كمالهم وكمال نعيمهم ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة : آية ٢١٦] .

ومن لطيف لطفه بعبده إذ أَهَّلَهُ للمراتب العالية والمنازل السامية التي لا تدرك بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية والعزائم السامية أن يُقَدِّر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أُهِّلَ لها ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى ولتتمرن نفسه ويصير له مَلَكَةً من جنس ذلك الأمر ، وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

في ابتداء أمرهم رعاية الغنم ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم . وكذلك يُذيق عبده حلاوة بعض الطاعات فينجذب ويرغب ويصير له مَلَكَة قوية بعد ذلك على طاعات أجَلّ منها وأعلى ، ولم تكن تحصل بتلك الإرادة السابقة حتى وصل إلى هذه الإرادة والرغبة التامة .

ومن لطفه بعبده أن يُقَدِّر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاة والعلم والإيمان وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم وتأديبهم ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم كما امتنّ الله على مريم في قوله تعالى : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣٧] إلى آخر قصتها .

ومن ذلك اذا نشأ بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء أو في بلدِ صلاح أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم أو لتربية العلماء الربانيين فإنّ هذا من أعظم لطفه بعبده ، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة منها بل من أكثرها وأعظمها نفعاً هذه الحالة .

ومن ذلك إذا نشأ العبد في بلدٍ أهله على مذهب أهل السنة والجماعة فإنّ هذا لطف له ، وكذلك إذا قدَّر الله أن يكون مشائخه الذين يستفيد منهم الأحياء منهم والأموات أهل سنة وتُقى فإن هذا من اللطف الرباني . ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله في أثناء قرون هذه الأمة وتبيين الله به وبتلامذته من الخير الكثير والعلم الغزير وجهاد أهل البدع والتعطيل والكفر ، ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات فلا شك أنّ هذا من لطف الله لمن انتفع بها وإنه يتوقف خير كثير على وجودها ، فلله الحمد والمنه والفضل .

ومن لطف الله بعبده أن يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة يحصل به المقصود ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل به يعينه على ذلك ويفرغه ويريح خاطره وأعضاءه ، ولهذا من لطف الله تعالى لعبده أنّه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بُغيته فيعلم الله تعالى أنها تَضُرُّه وتَصُدُّه عما ينفعه فيحول بينه وبينها فيظل العبد كارها ولم يدر أنّ ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع وصرف عنه الأمر الضار ، ولهذا كان الرضى بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل .

ومن لطف الله بعبده إذا قَدَّر له طاعة جليلة لا تنال إلا بأعوان أن يُقَدِّر له أعواناً عليها ومساعدين على حملها ، قال موسى عليه السلام : ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾ [سورة طه : آية ٢٩].

وكذلك امتن على عيسى بقوله : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ آمَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة : آية ١١١] .

وامتن على سيد الخلق في قوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال : آية ٦٢] وهذا لطف لعبده خارج عن قدرته .

ومن هذا لطف الله بالهادين إذا قيض الله من يهتدي بهداهم ويقبل إرشادهم فتتضاعف بذلك الخيرات والأُجور التي لا يدركها العبد بمجرد فعله بل هي مشروطة بأمر خارجي .

ومن لطف الله بعبده أن يعطي عبده من الأولاد والأموال والأزواج ما به تقر عينه في الدنيا ويحصل له به السرور ثم يبتليه ببعض ذلك ويأخذه ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب ، فنعمة الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه وهذا أيضا خير وأجرٌ خارج عن أحوال العبد بنفسه بل هو لطف من الله له قَيَّض له أسباباً أعاضَهُ عليها الثواب الجزيل والأجر الجميل .

● ومن لطف الله بعبده أن يبتليه ببعض المصائب ، فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها فينيله درجات عالية لا يدركها بعمله وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك كما فعل بأيوب عليه السلام ، ويُوجِد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة وكشف الضُّر فيخف ألمه وتنشط نفسه، ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر فخفَّت مصائبهم وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

● ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تُضْعِف إيمانه وتُنْقِض إيقانه .

● كما أنَّ من لطفه بالمؤمن القوي تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ويُعِينُهُ عليها ويحملها عنه ، ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجرهُ ، فسبحان اللطيف في ابتلائه وعافيته وعطائه ومنعه .

● ومن لطف الله بعبده أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه فييسر عليه التعلم من كتاب أو معلم يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل ، وكذلك ييسره لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه فهذا من اللطف .

● ومن لطف الله بعبده قدَّر الواردات الكثيرة والأشغال المتنوعة والتدبيرات والتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قُسِّمَت على أمّة من الناس لعجزت قواهم عليها أن يَمُنَّ عليه بخلق واسع وصدر متسع وقلب مُنشرح بحيث يعطي كل فرد من أفرادها نظراً ثاقباً وتدبيراً تاماً وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها بل قد أعانه الله تعالى عليها ولطف به فيها ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها . وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر فانظر إلى حالة المصطفى ﷺ الذي بعثه الله بصلاح الدارين وحصول السعادتين وبعثه مُكمِّلاً لأُمةٍ عظيمةٍ هي خير الأمم ومع هذا مكَّنه الله ببعض عمره الشريف ، في نحو ثلث

عمره ، أن يقوم بأمر الله كله على كثرته وتنوعه ، وأن يُقيم لأُمته جميع دينهم ويُعلِّمهم جميع أصوله وفروعه ويُخرج الله به أُمةً كبيرةً من الظلمات إلى النور ، ويحصل به من المصالح والمنافع والخير والسعادة للخاص والعام ما لا تقوم به أُمّة من الخلق .

● ومن لطف الله تعالى بعبده أنْ يجعل ما يبتليه به من المعاصي سبباً لرحمته فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع والابتهال إلى ربه وازدراء نفسه واحتقارها وزوال العُجْب والكِبْر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات .

● ومن لطفه بعبده ـ الحبيب عنده ـ إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضَّارة واسترسلت في ذلك أن يُنقِصها عليه ويُكَدِّرها فلا يكاد يتناول منها شيئاً إلاّ مقرونا بالمكدرات مَحْشُوّا بالغصص لئلا يميل معها كل الميل ، كما أن من لطفه به أن يُلَذِّذَ له التقربات ويحلي له الطاعات ليميل إليها كل الميل .

● ومن لطيف لطف الله بعبده أن يأجره على أعمال لم يعملها بل عَزَم عليها ، فيعزم على قربة من القرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها فيحصُل له أجرها ، فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه وأدارها في ضميره وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سوقاً لبره لعبده وإحسانه بكل طريق . وألطف من ذلك أنْ يُقَيِّض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها هي أنفع له منها فيدع العبد الطاعة

التي ترضي ربه لطاعة أخرى هي أرضى لله منها فتحصل له المفعولة بالفعل والمعزوم عليها بالنية ، وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجرُه على الله مع أن قطع الموت بغير اختياره ، فكيف بمن قَطَعَتْ عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها . وربما أدار الله في ضمير عبده عدَّة طاعات كل طاعة لو انفردت لفعلها العبد لكمال رغبته ولا يمكن فعل شيء منها إلا بتفويت الأُخرى فيوفقه للموازنة بينها وإيثار أفضلها فعلاً ، مع رجاء حصولها جميعها عزماً ونيةً . وألطف من هذا أن يُقَدِّر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويُوفر له دواعيها وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات كما لطف بيوسف عليه السلام في مراودة المرأة . وأحدُ السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله رب العالمين(١) .

● ومن لطف الله بعبده أن يُقَدِّر خيراً وإحساناً من عبده ويجريه على يد عبده الآخر ويجعله طريقاً إلى وصوله للمستحق فيثيب الله الأول والآخر .

● ومن لطف الله بعبده أن يجري بشيء من ماله شيئا من النفع وخيراً لغيره فيثيبه من حيث لا يحتسب ، فمن غرس غرساً أو زرع

(١) «حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله» أخرجه البخاري (٢/٤٣) ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

زرعاً فأصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئاً آجر الله صاحبه(١) وهو لا يدري ، خصوصاً إذا كانت عنده نية حسنة وعقد مع ربه عقداً في : أنه مهما ترتب على ماله شيء من النفع فأسألك يارب أن تأجرني وتجعله قربة لي عندك .

وكذلك لو كان له بهائم انتُفِعَ بدرها وركوبها والحمل عليها ، أو مساكن انتُفِعَ بسكناها ولو شيئا قليلا أو ماعون ونحوه انتُفِع به أو عين شُرِبَ منها وغير ذلك ككتاب انتُفِع به في تعلم شيء منه أو مصحف قُرِىءَ فيه والله ذو الفضل العظيم .

● ومن لطف الله بعبده أن يفتح له بابا من أبواب الخير لم يكن له على بال وليس ذلك لقلة رغبته فيه وإنما هو غفلة منه وذهول عن ذلك الطريق فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه والملفت إليه ففرح بذلك وعرف إنها من ألطاف سيده وطرقه التي قيَّض وصولها إليه فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره وأدرك منها ما شاء الله وفتح .

---

(١) هذه رواية بالمعنى لما أخرجه البخاري (١٠/٤٣٨) ومسلم (١٠/٢١٥) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» . هذا لفظ مسلم .

[الخاتمة]

ولما ختم المؤلف رحمه الله كلامه على معنى (اللطيف) قال : وأرجو من الله أن يكون ما نحن فيه من هذا النوع ، فإنّ جنس هذه الفوائد المذكورة في هذه الرسالة قد كانت تَعرِضُ لي كثيراً أثناء القراءة لكتاب الله فأتهاون بها ولم أُقيدها فيضيع شيء كثير ، فلمّا كان أول يوم من هذا الشهر المبارك أوقع في قلبي أن أَقيد ما يمرُّ علي من الفوائد والمعاني المتضحة التي لا أعلم أنها وقعت لي قبل ذلك ، فعملت على هذا النمط حتى كان الانتهاء إلى لطف الله كما كان الابتداء بلطف الله بهذه الرسالة اللطيفة ، وكان ذلك موافقا للثامن والعشرين من هذا الشهر المبارك الذي حصل به الابتداء في ٢٨ من شهر رمضان سنة ١٣٤٧ سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ؛ والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وصلى الله على محمد وسلم .

فهرس الموضوعات

المـــــادة	الصفحة

فهرس فوائد الآيات مرتبة حسب ترتيب السور في القرآن الكريم :

السورة	الآية التي عندها الفائدة	المــــــــادة	الصفحة
		فوائد من قوله تعالى : ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض . .﴾ الآية .	٢٨
	آية : ٤٩ ـ ٥٠	فوائد من قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم . . .﴾ الآيات .	٢٨
	آية : ٩٠	فوائد من قوله تعالى : ﴿أو جاؤوكم حصرت صدورهم﴾ الآية . انظرها في فوائد سورة الأعراف : الآية (١٤٤) .	٤٠
	آية : ١٠٣	ينبغي لمن فعل عبادة على وجه فيه قصور أو أخلّ بما أُمِرَ به على وجه النسيان أن يتدارك ذلك بذكر الله تعالى ليزول قصوره ويرتفع خلله .	٢٨
		قال تعالى ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً . .﴾ الآية .	٢٩
	آية : ١٠٤	الإيمان والاحتساب يخفف المصائب ويحمل على الصبر، فوائد من قوله تعالى : ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون. . .﴾ الآية .	٢٩
	آية : ١٠٨	فوائد من قوله تعالى : ﴿إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ الآية .	٣٠
	آية : ١٣٠	فائدة عظيمة من قوله تعالى : ﴿وإن يتفرقا يغن الله كُلاًّ من سعته. .﴾ الآية .	٣١
	آية : ١٦٢	من هم الراسخون في العلم ؟ ﴿لكن الراسخون في العلم . . .﴾ الآية .	٣٢
المائدة	آية : ٩٣	فائدة تكرار التقوى ثلاث مرات في قوله تعالى : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا . . .﴾ الآية .	٣٣

المـــادة	الصفحة

(الاعتصام) للتنضيد والاخراج الفني
الأردن - عمان (ت ٧٨٠٩١٧) - (ص.ب ٥٢٠٢١٧)